

قضية التكرار في كتاب الله

د. فضل من عباس

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ، مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، «وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» ، «إنا جعلناه عربيا لعلكم تعقلون ، وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم» .

ويسرني أن أتقدم بهذا البحث ، الذي عالج قضية من قضايا إعجازه البياني - سائلا الله التوفيق - وهي قضية التكرار ، والتي استغلها بعض الحاقدين على هذا الكتاب ، ويعلم الله أنها نُطْلَع الذي يدرسها بتمعن ونَصَفَةٍ ، على جانب مشرق من جوانب الاعجاز البياني لهذا الكتاب .

وهذا البحث يشتمل على تمهيد عرضت فيه لأراء بعض العلماء والائمة قدامى ومحدثين ، في شأن التكرار ، وفصول ثلاثة خصص الاول منها لآيات العقيدة وتحديث الفصل الثاني عن دعوى التكرار في القصة ، وخصص الفصل الثالث والاخير لما سمي تكراراً من حيث اللفظ .

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه ، وأن ينفع به ، إنه سميع قريب ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم .

التكرار

تمهيد :

إن قضية التكرار ذات صلة وثيقة بموضوعنا الذي نتحدث عنه ، وتلك قضية بدهية ، ذلك أننا نجد في النظم مواضع متشابهة ، سماها بعض الباحثين تكرارا ، والحق أن هذه الموضوعات ذات صلة وثيقة بالإعجاز . فالناظرون في كتاب الله تعالى من أجل تلاوته وتدبره ، أو بهدف التشكيك والطعن ، يجدون لأول وهلة أن هناك قضايا دُكرت أكثر من مرة ، وفي أكثر من موضع كالقصص وموضوعات العقيدة ، وبعض الجمل والآيات ، وسموا ذلك تكرارا .

ومع إجماعهم على هذه التسمية ، إلا أنهم اختلفت فيه مذاهبهم ، وتعددت مشاربهم ، وتلك طبيعة في أحوال الناس ، بل هي سنة من سنن الله في هذا المجتمع البشري ، فالكثرة الكثيرة من هؤلاء مسلمين كانوا أم غير مسلمين ، رأوا أن في هذا التكرار سحر بيان ، وثبتت بنیان ، فعدهو بلاغة وإعجازاً ، ووجدوا فيه منهجا قويا ، وهدفا عظيما من مناهج التربية وأهدافها ، وحاولوا أن يبرهنوا على ذلك ببراهين ، مما عرفته العرب في كلامها شعرا ونثرا ، وأن يقيموا عليه الأدلة مما قرره علماء النفس وعلماء الاجتماع ، وأساطين التربية ، ذوو الاختصاص في فنّ الاعلام والدعاية .

وفئة قليلة عميت أو تعامت هيمن عليها الحقد ، فعدت هذا مثلبه ومطعنا في كتاب الله ، وهؤلاء لم يظهروا إلا بعد أن فسد الذوق البياني ، وضعفت السليقة العربية ، ولذا رأينا أن أباطيل أولئك لم تظهر مبكرة ، فلم نسمع شيئا عنها حتى من أعداء القرآن ، الذين كانوا ذوي سلائق سليمة في اللغة ، بل على العكس من ذلك ، وجدنا أن هذا القرآن يملك عليهم كل شيء ، وإن لم يؤمنوا به ، هذه الأباطيل - إذن - ظهرت فيما بعد ، حينما فسد المزاج اللغوي ، واجتمع الطاعنون على دين الله من كل صوب ، وتآلبوا حسدا عليه ، فبدأ الحديث عن شبهة التكرار . فكان لا بد أن يشمر

* المجلة :

(١) كرر الشيء تكريرا وتكرارا أيضا بفتح التاء وهو مصدر ، وبكسرها وهو اسم - مختار الصحاح .

العلماء عن سواعد الجِدِّ ليردّوا إلى النحور الظالمة سهام الحقد .

الاقدمون والتكرار :

عرض المفسرون والكاتبون في علوم القرآن ، والدراسات القرآنية لهذه القضية ، فلم يألوا جهدا في دراستها ، ولعل من أقدم الذين عرضوا لقضية التكرار عرضا موجزا مركزا ، إمام أهل السنّة اللغوي ابن قتيبة^(١) ، قال رحمه الله : «وأما تكرار الأنباء والقصص ، فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوما في ثلاث وعشرين سنة ، بفرض بعد فرض ، تيسيرا منه على العباد ، وتدرجيا لهم إلى كمال دينه ، ووعظ بعد وعظ ، تنبيها لهم عن سنّة الغفلة ، وشحذا لقلوبهم بتجدد الموعظة ، وناسخ بعد منسوخ ، استعبادا لهم ، واختبارا لبصائرهم . يقول الله عز وجل : «وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا» (الفرقان - ٣٢)^(٢) .

ثم يقول «وكانت وفود العرب ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم للإسلام ، فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن ، فيكون ذلك كافيا لهم . وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة ، فلوم تكن الانباء والقصص مشاة ومكررة لوقعت قصّة موسى الى قوم ، وقصّة عيسى الى قوم ، وقصّة نوح الى قوح ، وقصّة لوط الى قوم ، فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ، ويلقيها في كل سمع ويثبتها في كل قلب ، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير .

وليست القصص كالفروض ، لأن كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تُنفذ الى كل قوم بما فرضه الله عليهم من الصلاة ، وعددها وأوقاتها ، والزكاة وسُنّتها ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت ، وهذا مالا تعرف كيفيته من الكتاب ، ولم تكن

(١) ابو محمد ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المروزي ، العالم الكبير ، اللغوي النافذ والكاتب والاديب والحافظ والمؤرخ والراوي الصادق ، والمفسر المحدث المحيظ بمشكّل وغريب كتاب الله وسنن نبيه ، أصله فارسي من مدينة مرو ، يقال : ولد في الكوفة ، ويقال في بغداد سنة ٢١٣ هـ وتوفي سنة ٢٧٦ هـ أول ليلة من رجب .

(٢) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة - تأويل مشكّل القرآن ، بشرح وتحقيق السيد أحمد صقر دار إحياء الكتب العربية : عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ص ١٨٠ .

تنفذ بقصة موسى وعيسى ونوح وغيرهم من الانبياء ، وكان هذا في صدر الاسلام قبل إكمال الله الدين ، فلما نشره الله عز وجل في كل قطر ، وبثه في آفاق الارض ، وعلم الأكاير الأصاغر ، وجمع القرآن بين الدفتين ، زال هذا المعنى واجتمعت الأنباء في كل مصر وعند كل قوم^(١) .

ثم جاء امام آخر من أئمة اهل السنة اللغوي المحدث ، ابو سليمان الخطابي^(٢) في رسالته «بيان إعجاز القرآن» فبعد أن بين وجوه إعجاز القرآن - كما يراها - كرر على شبه المعارضين والمعاندين ، ومنها شبهة التكرار وهو ما يعيننا هنا . قال رحمه الله : «وأما ما عابوه من التكرار ، فإن تكرار الكلام على ضربين : أحدهما مذموم ، وهو ما كان مستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول ، لأنه حينئذ يكون فضلا من القول ولغوا ، وليس في القرآن شيء من هذا النوع .

والضرب الآخر ما كان بخلاف هذه الصفة ، فإن ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه ، وتدعو الحاجة اليه أو بأزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة الى الحذف والاختصار ، وانما يحتاج اليه ويحسن استعماله في الامور المهمة التي قد تعظم العناية بها ، ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها ، والاستعانة بقدرها ، وقد يقول الرجل لصاحبه بقصد الحث والتحريض على العجل : عَجِّلْ عَجِّلْ ، اَرْمِ اَرْمِ ، كما يكتب في الأمور المهمة على ظهور الكتب : مهم مهم مهم ، ونحوها من الامور ، وكقول الشاعر :

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كُنْ دَةَ يَوْمَ وَلَوْ أَيْنَ أَيْنَا ؟
وقول الآخر :

يَا لِبَكْرِ انْشُرُوا لِي كُتُبَا يَا لِبَكْرِ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارِ؟

(١) المرجع السابق ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٢) حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (٣١٩ - ٣٨٨هـ) = (٩٣١ - ٩٩٨) فقيه محدث من أهل بستان من بلاد كابل ، له معالم السنن وبيان إعجاز القرآن ، وإصلاح غلط المحدثين وله شعر . توفي في بستان .

وقد اخبر الله عز وجل السبب الذي من أجله كرر الأفاصيص ، والأخبار في القرآن ، فقال سبحانه : «لقد فصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون» وقال تعالى «وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا»^(١) .
مما سبق ندرك أن اباسليمان - رحمه الله - يحدد شرطين اثنين لكي يكون التكرار مدموما :

أحدهما : أن لا يكون هناك حاجة تدعو اليه .

ثانيهما : أن لا يكون في الكلام المكرر زيادة .

أما اذا كان المكرر زيادة على ما ذكر أولا ، وكان في الأمور المهمة التي تعظم العناية بها ، فإن ذلك تكرار محمود - كما يقول الخطابي رحمه الله - ونحن إذ نوافق الشيخ من جهة ، لكننا نخالفه من جهة أخرى ، وسنرجي مناقشته بعد ان نستمع لعالم آخر ، وهو الإمام الزركشي^(٢) - رحمه الله - فلقد أشار في كتابه «البرهان» إلى التكرار في القرآن بعامة ، وإلى التكرار في القصة بخاصة ، فبعد أن بين أن التكرار أسلوب من أساليب العرب ، وأن الكلام حينها يكرر ، فانه في النفوس يقرر ، وعاب على الذين ينكرونه ، وعرفه بقوله :-

«وحقيقة الله اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى ، خشية تناسي الأول لطول العهد به ، فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه ، كقوله تعالى «قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ» .

(١) الخطابي : بيان اعجاز القرآن - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام ، الطبعة الثالثة : دار المعارف بمصر .

(٢) الامام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، أحد العلماء الذين نجموا من بمصر في القرن الثامن ولد بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ ، حينما كانت معمورة بالمدارس ، انتظم في حلقات الدروس وتفقه بمذهب الشافعي وهو جهيد من جهابذة أهل النظر وأرباب الاجتهاد ، وعلم من اعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين ، كان منقطعا إلى الاشتغال بالعلم ، لا يشتغل عنه شيء ، وله اقارب يكفلونه أمر دنياه ، توفي بمصر في رجب سنة ٧٩٤هـ .

فاعاد قوله «قل الله اعبد مخلصا له ديني» بعد قوله «قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين»، لا لتقرير الأول بل لغرض آخر، لأن معنى الأول الأمر بالاخبار أنه مأمور بالعبادة لله، والاخلاص له بها، ومعنى الثاني أنه يخص الله وحده دون غيره بالعبادة والاخلاص . . . واعلم أنه إنما يحسن سؤال الحكمة عن التكرار إذا خرج عن الأصل، أما إذا وافق الأصل فلا، ولهذا لا يتجه سؤالهم . ولم كرر «إياك» في قول «إياك نعبد وإياك نستعين»^(١) .

وبعد هذا التعريف ذكر فوائد التكرار، وفي مقدمتها التأكيد، ولكنه قال بعد ذلك : إن التكرار أبلغ من التأكيد .

وما سبق نجد أن الخطابي والزركشي متفقان على أن ما ذكر في كتاب الله تعالى أكثر من مرة، كان فيه في كل مرة زيادة معنى، ومع ذلك سمياه تكرارا . ونحن إذ نعجب من الزركشي اذ عرّف التكرار بأنه إعادة اللفظ أو مرادفه، مع أنه في موضع آخر من كتابه ينكر الترادف في كتاب الله تعالى، ولكننا نعتف له بلمحة طيبة جيدة، وهي أن ما ذكر أكثر من مرة لتقرير معنى واحد هو الذي يسمى تكرارا، أما إذا كان لتقرير معنى آخر، فليس من التكرار في شيء، وكذلك قوله «إنه يسأل عن حكمة التكرار لم يخرج عن الأصل ؟ «أي إذا صُعب علينا أن ندرك الحكمة من ذكر اللفظ أكثر من مرة، أما ما لم يخرج عن الاصل فلا يسأل فيه عن حكمة التكرار، كقوله تعالى «إياك نعبد وإياك نستعين» .

تعريف التكرار :

نحن لسنا مع الخطابي في عدّه من التكرار ما كان فيه زيادة معنى، ولسنا مع الزركشي في تعريف التكرار بأنه إعادة اللفظ أو مرادفه .
والتكرار - كما نراه - هو إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد، فإذا لم يتوفر هذان الشرطان، أي إذا لم يكن المعاد اللفظ نفسه، أو إذا ذكر اللفظ أكثر من مرة، ولكن

(١) الزركشي - البرهان في علوم القرآن - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم : دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧، الطبعة الاولى ، ج٣ ص ١٠ ، ١١

لكل موضع سياقه الخاص ، ومعناه الخاص ، فان ذلك لا نسميه تكرارا أبدا . هذا هو التعريف الدقيق للتكرار كما يظهر لنا .

المحدثون والتكرار :

ولقد عرض بعض الكاتبين المحدثين لقضية التكرار ومن هؤلاء كاتب العربية والإسلام ، الأستاذ مصطفى صادق الرافعي^(١) رحمه الله ، فعند حديثه عن أسلوب القرآن ، وما امتاز به هذا الأسلوب ، وما انفرد به من خصائص ، فيُعد التكرار إحدى هذه الخصائص والميزات ، وحديث الرافعي من حقه أن لا يوجز وأن لا يختصر ، يقول رحمه الله :

«وها هنا معنى دقيق في التحدي ، ما نظن العرب الا وقد بلغوا منه عجباً : وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن ، فتختلف في طرق الأداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة ، كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونحوها ، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة وترديد المنّة والتذكير بالنعم واقتضاء شكره ، الى ما يكون هذا الباب ، وهو مذهب للعرب معروف ، ولكنهم لا يذهبون إليه إلا في ضروب من خطابهم : للتهويل والتوكيد ، والتخويف والتفجع وما يجري مجراها من الأمور العظيمة ، وكل ذلك ماثور عنهم منصوص عليه في كثير من كتب الأدب والبلاغة .

بيد أن وروده في القرآن مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته وأنهم يُخلُّون عنه^(٢) لقوة غريبة فيه لم يكونوا يعرفونها إلا توهُّما ، ولضعف غريب في أنفسهم لم يعرفوه إلا بهذه القوة ، لأن المعنى الواحد يتردد في أسلوبه بصورتين أو صور كل منها

(١) مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن عبد القادر الرافعي (١٢٩٨ - ١٣٥٦هـ) = (١٨٨١ - ١٩٣٧) عالم بالأدب ، شاعر ، من كبار الكتاب ، أصله من طرابلس الشام ، مولده في بهتيم (منزل والد أمه) ووفاته في طنطا ، أصيب بصمم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به ، شعره نقيّ الديباجة على جفاف في أكثره ، ونثره من الطراز الأول (الأعلام ج٧ ص ٢٣٥) .

(٢) يتركونه بلا معارضة ، والتخيلية : الترك .

غير الأخرى وجها أو عبارة وهم على ذلك عاجزون عن الصورة الواحدة، ومستمرون على العجز لا يطيقون ولا ينطقون .

فهذا لعمرك أبلغ في الاعجاز وأشد عليهم في التحدي ، إذ هو دليل على مجاوزتهم مقدار العجز النفسي الذي قد تمكن معه الاستطاعة أو تتهياً المعارض حيناً بعد حين، إلى العجز الفطري الذي لا يتأول فيه المتأول ولا يعتذر منه المعتذرون ولا يجري الأمر فيه على المسامحة .

وقد خفى هذا المعنى (التكرار) على بعض الملحدة وأشباههم ومن لا نفاذ لهم في أسرار العربية ومقاصد الخطاب والتأني بالسياسة البيانية إلى هذه المقاصد، فزعموا به المزاعم السخيفة وأحالوه إلى النقص والوهن، وقالوا إن هذا التكرار ضعف وضيق من قوة وسعة، وهو - أخزاهم الله - كان أروع وأبلغ وأسرى عن الفصحاء من أهل اللغة والمتصرفين فيها، ولو أعجزهم أن يحيثوا بمثله ما أعجزهم أن يعيروه لو كان عيياً .

وفي بعض ذلك التكرار معنى آخر فطن إليه بعض علمائنا ولم يكشف لهم عن سره ، وأول من نبه عليه الجاحظ في كتاب (الحيوان) إذ قال :

ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب، وأخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بنى اسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام «أي كأن ذلك مبالغة في إفهامهم وتوسع في تصوير المعاني لهم وتلويها بالألفاظ ، إيجازاً في موضع وإطناباً في موضع إذ كانوا قوما لا سليفة لهم كالعرب وليسوا في حكمهم من البيان ، فلا يمضي كلامه لسننه بلا اعتراض من تنافر التركيب وثقل الحروف وجفاء الطبيعة اللغوية، فلهذا ونحوه كان لابد في خطابهم من التكرار والبسط والشرح، بخلاف العرب، فإن الخطاب يقع إليهم على سنن كلامهم من الحذف ، والقصد إلى الحجة، والاكتفاء باللمحة الدالة وبالإشارة الموحى بها، وبالكلمات المتوسمة، وما يجري هذا المجرى، وهو قول صحيح في الجملة بيد أنهم أخطأوا وجه الحكمة فيه^(١) .

(١) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية : دار العربي، بيروت، لبنان ، الطبعة التاسعة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ ص ١٩٣ .

ومنهم الأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه «إعجاز القرآن» و «القصص القرآني» كما عرض لها الأستاذ محمد قطب في كتابه «الدراسات القرآنية» والنتائج التي يمكن أن تستفاد من هذه الدراسات أن التكرار قد يكون للتأكيد، وما جاء منه في كتاب الله تعالى، فإنها قصد منه التأثير في النفوس، وبخاصة إذا كانت الموضوعات المكررة موضوعات مهمة، كالعقيدة التي أراد القرآن أن ترسخ في النفوس، وتثبت في أعماق القلوب - وهذا الذي قرره الخطابي كما رأينا من قبل.

ويذكر الأستاذ محمد قطب أن ما في القرآن مما يُظن أنه تكرار، إنما هو متشابه^(١). ويمثله بشمار الجنة، ويضرب لذلك أمثلة كثيرة من كتاب الله. أما الأستاذ الخطيب^(٢)، فلقد فصل فيما يخص القصة القرآنية من التكرار، مبينا بعض الامور التي تُوهم التكرار في القصص القرآني.

ومنهجنا ان نعرض لهذه القضية، مستلهمين من القرآن الكريم ما يفتح به لنا ربنا، وهو الفتح العليم.

على أننا لاننكر على الذين ذهبوا لوجود التكرار في القرآن، معللين هذا بأنه لا يخرج عن الأساليب التي عرفت في العرب، وبأنه إنما يراد به التأثير في النفوس حتى يقرر فيها ما يكرر. أقوال : لاننكر على أولئك، وليس معنى هذا أننا نتفق معهم فيما ذهبوا إليه ونؤثر أن نرجيء الحكم بعد أن نعرض لهذه القضية من جميع جوانبها. فنقول وبالله التوفيق :

الموضوعات التي عرض لها القرآن مع كثرتها، نجملها في هذه الأمور الرئيسية

الثلاثة :-

١ - الأحكام : وتشمل ما اصطلح عليه فيما بعد العبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصية، والحدود، وما يتصل بهذا من الآداب والقيم.

(١) الأستاذ محمد قطب، دراسات قرآنية : دار الشروق - بيروت، ص ٢٤٥.

(٢) الأستاذ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه : دار الفكر العربي ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥، ص ٢٣٨ وما بعدها.

٢- العقيدة : وتشمل الألوهية والرسالة واليوم الآخر، وما يتصل بهذا من الأمثال والحقائق .

٣- أما الموضوع الثالث فقَصص الأنبياء عليهم السلام، وأخبار الأمم الماضية .
وقد أجمعوا على أن لا تكرر في آيات الاحكام، وإنما يمكن أن يكون فيه تكرر
هما الموضوعان الأخيران ، آيات العقيدة والقصص، هذا من حيث الموضوع .
أما من حيث اللفظ ، فقد قالوا إن هناك جملاً أو آيات ذكرت أكثر من مرة،
مما يوجب القول بأنها مكررة .
ومن هنا كان لزاماً علينا أن يكون حديثنا في هذا البحث عن آيات العقيدة
والقصة وتكرار الجمل والآيات .

الفصل الاول

آيات العقيدة

ولنبداً بآيات العقيدة التي يجمع الباحثون على أنها كررت في كتاب الله لقصد نبيل وهدف شريف .

أولاً : آيات اللوهمية :

وهي التي تقرر صلة العالم - والعالم كل ماسوى الله مما يعلم به سبحانه - بخالقه، من حيث احتياجه للخالق سبحانه . وقد تحدثت الآيات عن خلق الانسان والحيوان والنبات والسموات والأرض وما عليها . أما آيات خلق الانسان فلقد ذكرت فيما يقرب من أربعين موضعاً، ولنتقصر على بعض هذه الآيات حسب ترتيب النزول :

- ١ - في أول نجم نزل على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق» (العلق - ١، ٢) .
- ٢ - في سورة عبس «من أي شيء خلقه، من نظفة خلقه فقدره» (الآية ١٨، ١٩) .
- ٣ - في سورة القيامة : «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُدىً أَلَمْ يَكْ نَظْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى» (الآيات ٣٦ - ٣٩) .
- ٤ - ماجاء في سورة المرسلات «أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ» (الآيات ٢٠ - ٢٣) .
- ٥ - ماجاء في سورة البلد «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يُقَدَّرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبْدًا، أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ» (الآيات ٤ - ٩) .
- ٦ - ماجاء في سورة الطارق «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يُخْرَجُ مِنْ

بين الصُّلب والثرائب» (الآيات ٥ - ٧) .

- ٧ - يس «أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين» (آية ٧٧) .
٨ - الفرقان «وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا» (آية ٥٤) .
٩ - فاطر «هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا» (آية ١١) و
«ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه» (آية ٢٨) .
١٠ - الواقعة «نحن خلقناكم فلولا تصدقون ، افرأيت ما تُمْنون ، ءأنتم تخلقونه أم
نحن الخالقون ، نحن قَدَرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ، على أن نبذل
أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون - ولقد عَلَّمْتُمُ النشأة الأولى فلولا تذكرون»
(الآيات ٥٧ - ٦٢) .

- ١١ - الحجر «ولقد خلقنا الانسان من صَلصال من حَمَإٍ مسنون» (آية ٢٦)
١٢ - الأنعام «وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمُستقر ومستودع» (آية ٩٨)
١٣ - الصافات «فاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ»
(آية ١١) .

- ١٤ - الزمر «خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها» (آية ٥٦) .
١٥ - غافر «الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناءً وصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ
صُورَكُمْ» (آية ٦٤) .

هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلا ثم
لتبلغوا أَشدَّكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يُتَوَفَّى من قبل ولتبلغوا أَجلا
مسمى ولعلكم تعقلون» (آية ٦٧) .

وتستمر الآيات الكريمة تحدثنا عن خلق الانسان ، وليس من غرضنا أن
نستقصيها جميعا ، ومن أنعم النظر في الآيات التي ذكرناها لا يمكن أن يدَّعي أن فيها
شبهة تكرارٍ ، فكل آية - كما رأينا - تتحدث عن قضية غير التي تتحدث عنها الآية
الآخرى ، يقول أستاذنا الشيخ محمد محمد السباحي : «تبصر في هذه الآيات وكيف
رتبها هذا الترتيب العجيب ، الذي يتفق مع التربية العلمية والنفسية جميعا ، فقد
نبههم أولا على أن الانسان مخلوق من عُلُقٍ ، وقد علمت أنه لا يُطلق إلا بعد تعلُّق
الخلية الذكرية الانثوية ، وتفاعلهما في الرحم ، ومن العلق هذا ينشأ الذكر تارة ،

والأنثى تارة أخرى، وتأتي نظرية توقف العلة على معلولها، ولا بد من أول لهما، ولا بد من خالق ابتداء السلسلة بوجه ما. ثم تكلم على أحد طرفي العلق وهو الخليئة التي من شأنها أن تسعى حتى تصل أختها الاخرى. التي تنتظرها في مكان الخلق والتقدير، فكيف سعت؟ وكيف تلاقت؟ ثم كيف خلق وقدر في هذا المكان؟ ثم كيف تيسر له السبيل وكيف استكمل حياته ومات وقبر؟ ثم ينتقل خطوة أخرى فنبتة إلى أن النطفة التي خلق منها على هذا الوجه السابق أمنية مقدرة من مقدر حكيم، يتمنى الماني والمستمني بلوغ غايتها في إنتاج الولد ذكرا أو أنثى، ثم تأخذ على حسب التقدير لسيرها المقدر لها، فتكون علقة فتخلق فتسوى فيكون منها الزوجان الذكر والأنثى، فكيف خلقت وكيف سويت؟ ثم كيف تحولت إلى ذكر تارة وأنثى تارة، مع أن المعمل الذي تكون فيه الخلايا الذكرية أو الانثوية انما هو معمل واحد^(١).

وقد يتساءل بعضهم أليس من التكرار في آيات خلق الانسان ما جاء في هاتين السورتين المتجاورتين سورة الحج وسورة المؤمنون؟ ففي سورة الحج «يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَّكَ وَنُقَرِّفَ الْأَرْحَامَ مَا نَسَاءَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكَ طِفْلاً ثُمَّ لَتَبَلِّغُوهُنَّ أَشَدَّكُمْ» (آية ٥) وفي سورة المؤمنون «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سَلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْماً فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٣﴾» (الآيات ١٢ - ١٤) ونرد على هذا التساؤل بأن قضية التكرار في هاتين الآيتين منتفية كل الانتفاء، فلقد اختصت كل منهما بأمور لم ترد في الأخرى.

أما ما يُظن اشتراك الآيتين فيه، فبعيد عن التكرار كذلك، فأية الحج جاء التعبير فيها بكلمة (ثم) وآية المؤمنون جاء التعبير فيها بالفاء، فلكل من الآيتين غرض يختلف عن الآخر. آية المؤمنون جاءت تبين تعاقب الأطوار كما يفهم من الفاء التي هي للترتيب والتعقيب - كما يقول النحويون - ، وآية الحج جاءت تبين كل طور من هذه الأطوار، لا بد أن يمر بمراحل وأطوار حتى يبلغ الطور الآخر، فللنطفة أدوار

(١) مذكرات في التفسير الموضوعي لطلبة الدراسات العليا ص ٦.

وللعلقة أدوار.

آيات خلق الانسان - إذن - على كثرتها وتعددتها، نجد أن لكل آية منها هدفا وغاية، والذي يزعم أن فيها تكرارا، مثله كالذي يدعي أن جهاز التنفس في الانسان، والجهاز الهضمي والدموي، أجهزة مكررة يمكن أن يُغني عنها جهاز واحد، وما نظن أحدا يجرؤ على قول مثل ذلك.

وكذلك حينها نستعرض الآيات التي تحدثت عن خلق الحيوان والنبات، نجد كل آية تحدثت منها عن خاصية هذا النوع أو ذاك، قال تعالى «وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِمَّا تَأْكُلُونَ» ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَنْثَاكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا شِقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ . وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ (النحل - ٥ - ٨) «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (النور - ٤٥) «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ الطَّيْرِ يَطِيرُ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ» (النحل - ٧٩) «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ الطَّيْرِ يَمْشِي أَصْفَاتٍ وَيَقْضِيْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ» (الملك - ١٩) «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» (الانعام - ٣٨).

وفي الحديث عن النبات نقراً قول الله تعالى «فَإِنظُرُوا إِلَىٰ أَنْسَنَ إِلَىٰ طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا أَعْنَابًا وَقُصَبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفُكْهَةً وَأَبَاطًا مَعًا لَكُمْ وَلَأَنْعَمُكُمْ» (عبس - ٢٤ - ٣٢). وقوله تعالى «وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مَخْرُجًا مِنْهُ حَبًّا مَتْرًا كَبًّا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (الأنعام - ٩٩) ونقرأ قوله سبحانه «وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَىٰ الْبَلَدَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضٍ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ

لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (الرعد - ٣، ٤) .

وهكذا الآيات جميعا التي تحدثت عن هذين النوعين ، نجد أن كل آية كريمة توجه أنظارنا الى موضوع مستقل ، وتفتح لنا بابا جديدا من ابواب العلم ، وتضع ايدينا على دقائق في هذا الكون ، وتشير الى حقائق حري بها أن تدرس دراسة جادة مفصلة .

وكذلك الآيات التي تحدثت عن السماوات والارض ، وما فيها من جبال وأبحر ونجوم وكواكب ، مما يطول بنا بحثه واستقراؤه واستقصاؤه ، ولكن الغرض الذي نرمي اليه ونرجو ان نكون قد أصبناه ، هو انتفاء التكرار في موضوع الخلق ، والذي هو أكثر الموضوعات التي عرض لها القرآن في قضية الألوهية .

ومثل قضية الخلق قضية الوجدانية فالأدلة التي جاءت بها الآيات الكريمة متنوعة متعددة ، ويكفي لذلك أن نقف عند بعض الآيات الكريمة التي تحدثت عن الوجدانية ، في سورة المؤمنون «ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلأ بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون» (آية - ٩١) وفي سورة الانبياء «لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله ربّ العرش عما يصفون» (آية - ٢٢) وفي سورة الشورى «ليس كمثله شيء» (آية - ١١) . إن كل آية من هذه الآيات توجه العقل الى دليل وتسموبه إلى برهان يختلف عن غيره .

ثانيا : الرسالة :

إن آيات الرسالة في القرآن الكريم ذات مراحل متميزة ، لكل مرحلة خصائصها ، ابتداء من مرحلة الإنذار ومرورا بمرحلة الأدلة وردّ الشبهات والإجابة على الاقتراحات وانتهاء بمرحلة التحدي . . والمتأمل في هذه المراحل وفي الآيات الكريمة التي تحدثت عنها يجد أن كل آية عرضت لموضوع ، وعالجت قضية ذات شأن ، مما يجعل القارئ المتدبر لا يرتاب في جدّة هذه الموضوعات والقضايا ، وبالتالي يصل الى قناعات لا تحوم حولها شائبة بأنه لا تكرار في الايات التي تتحدث عن الرسالة .

ولنضرب لك مثلاً :

(١) الأدلة التي جاء بها القرآن برهاناً على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم : هذه الأدلة كانت تستند إلى التاريخ تارة ، وإلى الواقع تارة أخرى ، أما أدلة التاريخ فلم تقف عند حِقْبَةٍ واحدة من حقب الدهر ، وإنما كانت في عمق هذا التاريخ ، كما أنها لن تقف عند بيئة واحدة لكنها ارشدت إلى أكثر من بيئة كذلك . أما الواقع فتجده تارة يستند إلى سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخرى إلى ما من الله به على أولئك . . . « وقالوا إن نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِيبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » (الْقَصَص - ٥٧) .

ويستند تارة ثالثة إلى مافي هذا الكون من آيات . كل ذلك تجده جاء على غير وتيرة واحدة ، متسقاً مع السياق الذي ذكره فيه .

(٢) آيات التحدي :

وأنت إذا وقفت مع هذه الآيات ، وجدتها أبعد ما تكون عن قضية التكرار ، فتارة « فليأتوا بحديثٍ مثله » (الطور - ٣٤) وأخرى « يَعْشِرُ سُورٍ مِثْلَهُ » (هود - ١٣) وثالثة « بسورةٍ مثله » (يونس - ٣٨) ، وأخيراً « بسورة من مثله » (البقرة - ٢٣) .
تارة « وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ ^(١) » ، وتارة « وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ^(٢) » تارة « فَلَا تَرْسَخُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ^(٣) » وتارة « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ^(٤) » .

ولا يدورنَّ بخلدك أن هذه العبارات جميعها ذوات معنى واحد ، بل انها اختلفت لفظاً واختلفت معنى كذلك .

(١) سور هود - آية ١٣ ، وسورة يونس آية ٣٨

(٢) البقرة - ٢٣

(٣) هود - ١٤

(٤) البقرة - ٢٤

ويصعب أن نتتبع الآيات التي تحدثت عن الرسالة في جميع أطوارها وأدوارها ،
راجين أن يكون ما اجتزأناه كافيا ومغنيا ، وما على القاريء الا أن يتتبع آي الذكر
الحكيم ، لِيَسْعَدَ وَيُنْعَمَ ، ويكون معي في كل ما أدعى وأزعم ، من أن لا تكرر في
الآيات التي تحدثت عن الرسالة .

ثالثا : البعث :

بقي من موضوعات العقيدة قضية البعث : وللبعث في كتاب الله شأن عظيم
لأنجده في أيّ كتاب آخر ، فالإيمان باليوم الآخر هو أحد بل أعظم أركان الإيمان ،
والمتدبر لآيات الكتاب الكريم والسنة المشرفة يدرك ذلك لأول وهلة ، لذلك كان لا بد
أن يستفيض الحديث عن اليوم الآخر في كتاب الله تعالى .

يقرر مبدأ البعث بما لأنجده في أي كتاب - كما قلت - لامن حيث المضمون
والحقائق فحسب ، بل من حيث الأسلوب والدليل ، فمن حيث المضمون والحقيقة
يحرص القرآن الكريم والسنة المطهرة كذلك ، على التأكيد والتقرير لبعث الأجسام ،
لتحازي كل نفس بما عملت ، وأن الثواب والعقاب قد يكون كل منهما ماديا وروحيا ،
وليس كما يقرر الفلاسفة ومن تبعهم من أصحاب الكتب السماوية فيما بعد ، من أن
البعث والنعيم والثواب كل أولئك أمور رُوحانية فحسب .

أما من حيث الأسلوب ، فرغم خطورة الموضوع ، وشدة ارتباطه بالعقل ، إلا
اننا نجد أن أسلوب القرآن في تقرير البعث يثير المشاعر ، ويهيج الوجدانات والعواطف
، ويهيب بالعقل بل يحتم عليه أن يبحث ويستنتج ، يدرك هذه الحقيقة من قارن بين
أسلوب القرآن الكريم في إثبات البعث واسلوب المتكلمين فيما أقاموه من أدلة .
ولا تظنن أيها القاريء أنني حاولت أن ابتعد بك عن موضوع البعث ، فأنتقلك
إلى موضوعات تتشابه وتتشابه فيما بينها ، وإنما كانت تلك مقدمات - لا بد من أن
نعرفها وأن نحيط بها - مدخلا لموضوعنا ، وأساسا لما نوّده من تقرير لوجود أو نفي
التكرار في كتاب الله فيما يخص عقيدة البعث .

والناظر في كتاب الله يجد الحديث عن البعث مبثوثا في سور القرآن الكريم ، لا مكّيها فحسب ، بل مدنيها كذلك ، وكي نصل الى ما نوده من نتائج ، ولكي يكون حكمنا على الامور دقيقا ، يجمل بنا أن نتدبر هذه الآيات ولو تدبرا اجماليا فماذا سنجد ؟؟

لا يساورني شك بأنك ايها القاريء حينما تتدبر آيات البعث في كتاب الله وعقيدة اليوم الآخر ، فستجد أمورا ثلاثة حرص القرآن الكريم على إبرازها والحديث عنها ، وهذه الامور كما ظهرت لي بعد بحث هي :

أولا : الحديث عن طبيعة هذا اليوم ، اليوم الآخر .
ثانيا : الحديث عما يكون فيه مما يقع من أحداث .
ثالثا : عن الأدلة التي سلكها القرآن لإثبات هذا اليوم ، بما يقنع العقول ويمتص العواطف .

أما أولا :

فلقد حدثنا القرآن الكريم عن طبيعة هذا اليوم ، ولكن حديث القرآن لم يكن على وتيرة واحدة ، وإنما كانت هناك حقائق متنوعة متعددة ، يبرزها في آياته ذات الروعة والاعجاز ، فهو اليوم الآخر أو الدار الآخرة تارة ، ويوم القيامة أو يوم الجمع تارة ، او يوم التغاين ويوم الفصل تارة ثالثة . ثم نجد الحديث في هذا اليوم الآخر أو الدار الآخرة بأوصاف متميزة ، فتارة هي الساعة ، وأخرى هي الطامة أو الصاخة ، وفي موضع الحاقّة أو القارعة او الواقعة ، إلى غير ذلك من أوصاف كل واحد منها انها يضيف للعقل جديدا ، لأنه يتحدث عن خصيصة لهذا اليوم ، لانجدها في موضع أخرى من الآيات ، كل هذا لشحذ الهمم وتنبيه النفوس وإيقاظ العقول ، لأن تحسب لهذا اليوم حسابا ، وان تعي هذه النتيجة الاخيرة وهي أهم النتائج وأولاها بالتقدير ، لأنها الغاية بل غاية الغايات ، وهي قوله سبحانه «فَنَزَحْجَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ» (آل عمران - ١٨٥) .

ثانيا :

أما ما يكون في هذا اليوم فلقد كانت هناك حقائق كثيرة أبرزتها أي الذكر الحكيم ، سواء منها ما يحدث لهذا الكون والحياة ، أم للمخلوقات .

أما ما يحدث للكون فنقرؤه في مواضع كثيرة من كتاب الله ، من انشقاق السماء وانفطارها ، « إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ » إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ » « وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ » (١) « وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّعْمِ » (٢) « وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا » (٣) « يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ » (٤) « وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ » (٥) وهكذا الأرض تمد لتلقى مافيها تتخلى عنه ، وكأن ماكانت تحتفظ به تأبى أن تتنازل عنه لأحد ، وذلك لابد له من زلزلة عظيمة . إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَـذَا يَوْمَئِذٍ نَّحْدِثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٦) .

أما مافي السماوات فستكور الشمس ، وتنكدر وتطمس النجوم ، وتنتثر الكواكب ، هكذا بهذا التعبير المعجز الذي يدلنا على التفرقة بين الكواكب والنجوم ، يخسف القمر ويجمع الشمس والقمر .

أما ما على الأرض فستفجر البحار وتسجر ، أما الجبال فستكون كالعهن المنفوش ثم تدك « إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ، إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا » (٧) وهكذا تسير الجبال فتكون سرايا ، وبعد ذلك كله تبدل الأرض غير الأرض والسماوات .

(١) الانشقاق - ١

(٢) الانفطار - ١

(٣) المرسلات - ٩

(٤) الفرقان - ٢٥

(٥) النبأ - ١٩

(٦) المعارج - ٨

(٧) الزمر - ٦٧

(٨) الزلزلة - (١ - ٥)

(٩) الواقعة (١ - ٦)

هذا ماتشير إليه الآيات الكريمة منذ أن يُنفخ في الصور فيُصعق من في السماوات ومن في الارض . إلا من شاء الله ، نقرأ ذلك كله حديثا رائعا عن الاحداث المروعة في هذا الكون .

أما ما يحدث للخلائق فيحدثنا القرآن الكريم حديثا مستفيضا ، ولكنه كذلك يُبرز حقائق متنوعة متعددة ، فلا تجزي نفس عن نفس شيئا في هذا اليوم ، لأنها لا يُقبل فيها عدل ولا يؤخذ منها شفاعا ، بل لا تنفعها شفاعا كذلك الا شفاعا أذن بها الله الحي القيوم ، فمنذ أن تخرج الخلائق من الأجداث صراعا كأنهم الى نُصب يوفضون وكأنهم جراد ينتشر ، يحدثنا القرآن الكريم عن الهواجس النفسية والتمنيات والاعتذارات ، وفي كل آية حقيقة جديدة .

كما يحدثنا عن المراحل التي تمر بها الخلائق في هذا اليوم ابتداءً من نشر الكتب ليعطي كل كتابه بيمينه أو شماله ، أو من وراء ظهره ليقرا كل كتابه « أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ^(١) » .

ثم تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة الحساب ، وهو حساب سريع ، لا ظلم فيه ولا نسيان . ثم تأتي المرحلة الثالثة وهي مرحلة الميزان ، « مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^(٢) » فهو في عيشة راضية ^(٣) ، « وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ^(٤) » وأمه هاوية .

ثم تأتي المرحلة الرابعة وهي مرحلة الصراط « وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ثُمَّ نُحْيِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ^(٥) » ، وبعد ذلك يكون الحديث عن الجنة والنار وما فيها ، مما أعد لأهلها من أمور مادية أو معنوية ، ذلكم هو حديث القرآن عما في هذا اليوم .

(١) الاسراء - ١٤

(٢) المؤمنون - ١٠٢

(٣) القارة - ٧

(٤) المؤمنون - ١٠٣

(٥) مريم - ٧١

بقيت الأدلة التي سلكها القرآن مبرهنا بها على هذا البعث، وكان يمكن ان يسكت القرآن عن هذه الأدلة، فهو الذي لا يتخلف وعده، ومن اصدق من الله قила، ولكننا مع ذلك نجد الأدلة مبثوثة في هذا القرآن على الحقائق التي يقررها، سواء كانت هذه الحقائق تتعلق بوحداية الله، أم بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم، أم بإثبات أن هذا القرآن من عند الله، وكذلك لا ثبات اليوم الآخر. والعجيب أن أدلة القرآن الكريم أدلة متنوعة من هذا الكون، ومن الانسان نفسه، بل نجدها أدلة هي في حقيقتها نعم من نعم الله على هذا الإنسان في هذا الكون، ولا نود هنا أن نعرض لهذه القضية بالتفصيل فذلك له موضوع آخر في غير هذا الموضع ان شاء الله، لكن الذي يهمنا هنا، أن ننظر إلى أدلة البعث وسنجد هذه الادلة سلك القرآن بتقريرها مسالك متعددة، لكنها جميعها سهلة ميسرة، فقد تكون هذه الأدلة مما يحيط بهذا الإنسان في هذا الكون، ومما هيء لراحته وإمكانات وجوده على هذه الارض «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا، وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا، وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا، وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا، نَخْرِجُ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا» (النبا ٦ - ١٧).

وقد يسلك بالدليل طريقا آخر، فينتزع من نفس الانسان وما يمر به من أطوار، وما يشاهد في شأن ما يقيم ضلبه ويصلح شأنه ويُبهِجُه فيما يراه «يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مُضْغَةٍ مَخْلُوقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُوقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحى الموتى وأنه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور، ومن الناس من يجادل

في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير» (الحج - ٥ - ٨) أرأيت إلى هذين الدليلين اللذين جيء بهما لإثبات البعث، أحدهما «إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب» فهو دليل مستمد من الأنفس، والثاني «وترى الأرض هامدة» فهو مستمد مما هو حول الانسان ومما لا حياة بدونه، ما أعظمهما في تأثيرها، وما أروعهما في امتاعهما، وما أبدعهما في احاطتهما، وما اقنعهما في حجتهما ومنطقتهما، واذا صح ما ذكره المفسرون من قول الله تعالى : «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير» نزل في النضر بن الحارث الذي قيل أنه جاء بأخبار وحكايات من خارج بلاد العرب، فكان يقرؤها للناس ليشغلهم عن القرآن، إذا صح ذلك فما أشبه الليلة بالبارحة ونحن نرى ان الذين ينكرون عقيدة البعث، يشبهون النضر بن الحارث، فلقد جاءوا بهذه الأقوال من غير البيئة الاسلامية .

وقد يسلك في دليل البعث مسلكا آخر وهو مسلک عجيب ملفت للنظر، مدهش للألباب . انه دليل الضدية، إنه يبرهن على وجود الشيء من ضده، فالمنكرون للبعث تتلخص شبهاتهم في وجود الحياة من اللاحياة ، فكيف ينتج الشيء من ضده، كيف يكون النقيض من نقيضه ؟ يقول الله في هذا «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعَظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الشَّجَرِ الْأَخْضَرَ نَارًا فَلَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ . بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ . إِمَّا أَنْزَلْنَاهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (يس ، ٧٨ - ٨٣) هكذا جعل من الشجر الاخضر نارا، والخضرة تتناقى مع النار، بل تضادها ، لأنها ناتجة عن الماء وهكذا تتعدد الأدلة القرآنية لإثبات البعث .

وقد يُفصل دليل ما يُجمله الآخر فإنزال الماء على الأرض الذي ورد مجملا في الآية السابقة، نجد فيه تفصيلا في آية أخرى كقوله سبحانه في سورة الأعراف «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ هَ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِسَلْدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَاهُ أَهْلَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (الأعراف - ٥٧) وقد يكون الدليل جملة واحدة مرتكزة في فطرة الإنسان، كأنها هي

بدهية تُدرَك لأول وهلة ، وذلك كقوله تعالى «وهو أَهْوَنُ عليه» (الروم - ٢٧) . وقد جاءت في قوله تعالى في سورة الروم «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يُعيده وهو أَهْوَنُ عليه وله المثل الأعلى في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم» (آية - ٢٧) وهكذا الأدلة المبثوثة في كتاب الله تعالى ، وليس غرضنا الاستقصاء ، فما ذكرناه فيه الغنية والكفاية .

من ذلك كله يُوقن كل منصف ذي بصيرة ، أن التكرار الذي ادّعى في آيات العقيدة أمر لا مسوِّغ له ولا ضرورة ، وما أشبهه بآيات الأحكام التي يجمعون على عدم التكرار فيها ، مع أن الموضوع الواحد منها قد يُذكر في أكثر من سورة ، فأيات الطلاق ، وآيات الحج ، وآيات الجهاد ، ذكرت في سور متعددة من سور القرآن الا ان كل سورة كان يذكر فيها ما لا يذكر في السورة الاخرى . فأيات الطلاق مثلا ذكر بعضها في سورة البقرة ، وبعضها في سورة الطلاق وهي التي تسمى سورة النساء الصغرى ، وبعضها في سورة الاحزاب ، وآيات الحج ذكر بعضها في سورة البقرة ، وبعضها في سورة آل عمران ، وذكر بعضها الآخر في سورة الحج ، ولم يدَّع أحد أن ذلك من التكرار ، كذلك آيات العقيدة ، كما رأينا .

الفصل الثاني القصص القرآني

الذين نظروا الى القصة القرآنية ، ووجدوا القصة الواحدة تذكر في أكثر من سورة ، ظنوا أن ذلك من باب التكرار، ولكن الدارس المتأمل ستؤدي به دراسته المتأنية الى النتيجة التي استخلصناها من آيات العقيدة ، وهي انها لا تحوم حولها شائبة تكرار. وسنوجز لك الحديث عن القصة من حيث التكرار، وسندع النتيجة لك كذلك، لتستخلصها أنت، وأحيلك إن اردت مزيدا على كتابنا (القصص القرآني) في إيحائه ونفحاته .

ولنضرب لك مثلا بها جاء في كتاب الله تبارك وتعالى ، لنبيين اثنين عليهما وعلى أنبياء الله ونبينا صلاة الله وسلامه، سيدنا نوح، وسيدنا موسى ، ولنأخذ نماذج ثلاثة لكل من الرسولين عليهما السلام بادئين بقصة سيدنا نوح عليه السلام .

فالنموذج الأول ما جاء في سورة العنكبوت « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ، فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَأُخِجْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ » (الاياتان ١٤، ١٥) . وهذه القصة القصيرة مع قصرها وإيجازها فلقد جاءت موفية للغرض الذي سيقى من أجله . كما جاء فيها على قصرها مالم يذكر في غيرها، وهي المدة التي لبثها نوح عليه السلام في قومه .

وهذه قصة نوح في سورة (المؤمنون) جاء فيها قوله سبحانه « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَلْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ - أَفَلَا تَتَّقُونَ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يَهْدِيهِ جَنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ - حَتَّىٰ حِينٍ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ » (الآيات ٢٣ - ٢٦) ويوحى الله تبارك اليه بان يصنع الفلك ، وأن لا يخاطبه في الذين ظلموا فهم مغرقون ، « فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَقُلِ رَبِّ انزِلْنِي بِمُزَلٍّ مُّبَارَكًا وَأَنْتَ وَانْتَ

الْمُتَزِلِينَ» (المؤمنون ٢٨ - ٢٩).

هذه قصة نوح في سورة (المؤمنون) جاءت بين الإجمال والتفصيل . وجاءت على هذا النسق كذلك في سورة الأعراف والشعراء والقمر ولكنها في كل سورة من هذه السور الأربع لم تكن سواء، بل كانت كل قصة منسجمة مع السورة التي ذكرت فيها، موضوعا وأسلوبا، ولذا كان في كل قصة جزئيات لم تذكر في القصة الأخرى. ولكن قصة نوح ذكرت مطولة مفصلة في سورتي نوح وهود عليهما السلام . وأنت حينما تتدبر القصة في السورتين، تجد أن كلا منها تشتمل على قضايا وجزئيات وأحداث لا توجد في غيرها، مما يجعلك توقن غير مرتاب، أن لا تكرار في قصة نوح عليه السلام .

أما قصة موسى عليه السلام، فقد ذكرت موجزة في سورة النازعات، مطولة في سورة الأعراف، وما بين هذا وذاك في سورة يونس، وكانت كل واحدة لها أسلوبها المتميز. ولو أردنا ان نذكر ما في سورة لطال الحديث .

اتساق القصة مع موضوع السورة :

وما على القاريء الا أن يفتح كتاب الله، سائلا الله ان يفتح له في فهمه ، فيتدبر مافيه، وسيجد أن كل قصة جاءت تتناسب وتتسق مع موضوع السورة في شخصيتها، فقصة موسى في سورة النازعات، هذه السورة ذات المقاطع القصيرة القوية الفخمة الجزلة، ذكر فيها قوله سبحانه عن فرعون، « فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى » (الآيات ٢٣ - ٢٥) . وقصة موسى عليه السلام في سورة الزخرف ذكر فيها ما يتناسب مع اسم السورة الكريمة ، وما بنيت عليه، وما ذكر فيها من إسراف المعرضين، ومن رفع بعض الناس فوق بعض درجات، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، وهي التي ذكر فيها قول فرعون حينما نادى في قومه متباهيا « أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي » (آية ٥١) ، وقصة نوح عليه السلام جاءت قصيرة في سورة العنكبوت، وهي السورة التي بدئت بقوله تعالى « أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ » (آية ١، ٢)، فهي

سورة الدعاة الذين جاهدوا في الله، وهم يرجون لقاءه، ولذلك جاءت قصصها قصيرة كأنها هي لقطات تذكّر الدعاة الى الله بصعوبة الأمر وخطورته.

ويطول بنا الأمر إذا أردنا أن نتتبع القصص القرآني في سورة، فتلك قضية لا يتسع لها مثل هذا البحث، ولكننا نجزم ونوقن بأن كل متأمل لكتاب الله تعالى يجزم كذلك، بأن القصص القرآني ليس فيه تكرار من جهة، ومن جهة ثانية فإن كل قصة ذكرت في السورة التي تلائم موضوعها، وتتسق مع شخصيتها، سواء كان ذلك من حيث أسلوب السورة، أم من حيث جزئياتها وأحداثها.

يقول العلامة المصلح الأستاذ محمد الخضر حسين^(١)، شيخ الأزهر الأسبق: «أنه لا تكرار في القصص القرآني وإنما كل قصة في سورة، فيها من المعاني والحكم مالا يوجد في سورة أخرى، وسياق السورة وظرفها يحددان موضع العبرة من القصة، فليس من السهل أن يقال: في كل سورة جاءت فيها قصة موسى مع فرعون إنها قصة واحدة، بل الواجب أن ندرس القصة في كل سورة، ليتبين السياق الذي جاءت من أجله، والعبرة التي هدفت لها، والحكمة التي قصدت منها.

ويمثل الشيخ بقصة آدم، ويقول: «أنها وردت في ست سور، في البقرة والأعراف والحجر والإسراء والكهف وطه^(٢)». ففي سورة البقرة وردت القصة في سياق تذكير الناس بنعمة الله، والعجب من أنهم يكفرون به، فكانت القصة تدور على هذا التذكير من جعل آدم خليفة، وتعليمه الأساء كلها.

وفي سورة الأعراف، وردت هذه القصة في سياق أن الناس قليلا ما يشكرون الله، الذي مكّنهم في الارض، وجعل لهم فيها معاشا ولذلك أسهبت القصة في موقف إبليس من الإنسان.

(١) محمد الخضر حسين بن علي بن عمر الحسيني التونسي (١٢٩٣ - ١٣٧٧ هـ) = (١٨٧٦ - ١٩٥٨) - عالم إسلامي، أديب باحث، يقول الشعر، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، وعمن تولوا مشيخة الأزهر، ولد في نقطة في بلاد تونس وتخرج بجامع الزيتونة، ودرس فيها، وأنشأ مجلة السعادة العظمى، وترأس تحرير مجلة نور الاسلام، ولواء الاسلام، له تأليف منها: حياة اللغة، و«الخيال في الشعر العربي»، و«مناهج الشرف» و«الدعوة إلى الإصلاح»... (الاعلام ج ٦ ص ١١٤).

(٢) ولم يذكر سورة (ص).

وفي سورة الحجر، وردت القصة في سياق خَلَقَ الانسان من طين، والجن من نار، فليست مادة أفضل من مادة وهذا ماركَزَت عليه القصة .
أما سورة الاسراء فقد وردت قصة آدم في سياق فتنة الناس، ولذلك كان الاسهاب فيها، في واقعة إبليس وعدائه لآدم وذُرِيَّتِهِ^(١) .

ويقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - «يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات» وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها، هي التي تحدد مساق القصة، والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتي عليها، والطريقة التي تؤدي بها، تنسيقا للجو الروحي والفكري، والفني الذي تُعرض فيه . وبذلك تؤدي دورها الموضوعي، وتحقق غايتها النفسية، وتلقى إيقاعها المطلوب .
ويحسب أناس أن هناك تكراراً في القصص القرآني، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى . ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الاداء في السياق . وأنه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار^(٢) .

ولقد عرض الزركشي - رحمه الله - لفوائد التكرار في القصص القرآني، ومع أننا لا نسميه تكراراً - كما قلت - ومع أن ما ذكره ايضاً قد يكون بعضه متداخلاً في بعض، وقد تكون الاسباب التي ذكرها أكثر وجاهة من بعضها الآخر، الا ان فيه فوائد يجمل للقاريء أن يقف عليها، لذا رأينا أن ننقل كلامه كما جاء . قال رحمه الله : «ومنه تكرار القصص في القرآن ، كقصة إبليس في السجود لآدم، وقصة موسى وغيره من الأنبياء، قال بعضهم : ذكر الله موسى في مائة وعشرين موضعاً من كتابه وقال ابن العربي في القواصم : ذكر الله قصة نوح في خمس وعشرين آية، وقصة موسى في سبعين آية، انتهى . وإنما كرر لفائدة خلعت عنه في الموضع الآخر وهي أمور :
أحدها : أنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئاً، ألا ترى أنه ذكر الحية في عصا موسى

(١) مجلة لواء الإسلام، والعدد السابع، السنة الرابعة ص ٥٣٧ - ٥٥٤ .

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن ج ١ ص ٦٤، الطبعة الخامسة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧ .

عليه السلام وذكرها في موضع آخر ثعبانا، ففائدته أن ليس كل حية ثعبانا، وهذه عادة البلغاء أن يكرر أحدهم في آخر خطبته، أو قصيدته كلمة لصفة زائدة.

الثانية : أن الرجل كان يسمع من القرآن ثم يعود الى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين، وكان أكثر من آمن به مهاجريا فلولا تكرّر القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى قوم آخرين وكذلك سائر القصص، فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها، فيكون فيه إفادة القوم وزيادة تأكيد وتبصرة لآخرين وهم الحاضرون وعبر عن هذا ابن الجوزي وغيره.

الثالثة : تسليته لقلب الرسول صلى الله عليه وسلم مما اتفق للأنبياء مثله مع أمهم قال تعالى : « وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ » . (هود - ١٢٠).

الرابعة : أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة .

الخامسة : أن الدواعي لا تتوافر على نقلها كتوافرها على نقل الاحكام فلذا كررت القصة دون الأحكام .

السادسة : أن الله تبارك وتعالى أنزل هذا القرآن ، وعجز القوم عن الإتيان بمثل آية لصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين وأوضح الامر في عجزهم ، بأن كرر ذكر القصة في مواضع ، إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاءوا ، بأي عبارة عبروا قال ابن فارس : وهذا هو الصحيح .

السابعة : أنه لما سخر العرب بالقرآن قال « فَأَتُوا سُورَةَ مِنْ مِثْلِهِ » (البقرة ٢٣) وقال في موضع آخر « فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ » (هود ١٣) ؛ فلو ذكر قصة آدم مثلا في موضع واحد، واكتفى بها لقال العربي بما قال الله تعالى : « فَأَتُوا سُورَةَ مِنْ مِثْلِهِ » « ايتونا انتم بسورة من مثله » فانزلها سبحانه في تعداد السور، دفعا لحجتهم من كل وجه .

الثامنة : أن القصة الواحدة من هذه القصص ، كقصة موسى مع فرعون وإن ظُنَّ أنها لا تُغايِر الأخرى ، فقد يوجد في ألفاظها زيادةٌ ونقصانٌ وتقديمٌ وتأخيرٌ وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الالفاظ فان كل واحدة لا بد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه ، لا يوقَف عليه إلا منها دون غيرها ، فكأن الله تعالى فرَّق ذِكْرَ ما دار بينهما وجعله أجزاءً ثم قَسَمَ تلك الأجزاء على تارات التكرار لتُوجد متفرقةً فيها ولو جُمِعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه من الكتب المتقدمة ، من انفراد كل قصة منها بموضع ، كما وقع في القرآن بالنسبة ليوسف عليه السلام ، خاصّة فأجتمعت في هذه الخاصية من نظم القرآن عدة معانٍ عجيبة ، منها أن التكرار فيها مع سائر الالفاظ لم يوقع في اللفظ هُجْنَةً ، ولا أحدث مللاً فبايَنَ بذلك كلامَ المخلوقين ، ومنها أنه ألبسها زيادةً ونقصاناً وتقديماً وتأخيراً ليخرج بذلك الكلام أن تكون ألفاظه واحدةً بأعيانها ، فيكون شيئاً معاداً فنزَّهه عن ذلك بهذه التغيرات .

ومنها ان المعاني التي اشتملت عليها القصة الواحدة من هذه القصص صارت متفرقة في تارات التكرير فيجد البليغ - لما فيه من التغير - ميلاً إلى سماعها لما جُبِلَتْ عليه النفوس من حب التنقل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصة من الالتذاذ به مستأنفة .

ومنها ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد ، وقد كان المشركون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص والأنباء مع تغيير النظم وبيان وجوه التأليف فعرفهم الله سبحانه أن الأمر بما يتعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية ولا يقع على كلامه عدد^(١) . وما تقدم نستطيع أن نُصدر حكماً الآن ، من أنه لا معنى أبداً للقول بأن هناك تكراراً في القصص القرآني بل إن كل قصة جاءت فريدة فيما تقصده وتهدف إليه ، وما مثل القائلين بالتكرار إلا كمثل الذي يزعم أن اليد في الإنسان كررت ، وأن أصابع

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ، ج ٣ ص ٢٥ - ٢٨ .

اليد الخمسة إنما هي إصبع واحد، وصدق الله «ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مَثَلٍ وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً». والحق أن موضوع القصة موضوع ثريّ بالقيّم غني بما فيه براهين على الإعجاز القرآني والإطالة ربما تُخرجنا عن قصدنا لذلك نرجو أن يكون ما ذكرناه وافياً بما أردنا والله الحمد في الأولى والآخرة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثالث

جانب الألفاظ

ذلك الذي قلناه في موضوع التكرار من قبل ، كان الحديث فيه عن الموضوعات القرآنية (آيات العقيدة والقصص) ولكن هناك موضعاً آخر أُدعى فيه التكرار ، ونعني به ما جاء في كتاب الله تعالى من جمل أو آيات ، ذكرت فيه أكثر من مرة ، في مواضع متفرقة سواء كان ذلك في سورة واحدة من القرآن ، أم في سور متعددة . ونحن حينما نكتب هذه الفصول لا نكتبها دفاعاً عن القرآن لنرد على الحاقدين من اصحاب الشبهات فحسب ، فالقرآن لا ريب فيه ، وانما نكتبه نهدف أول ما نهدف - ونحن فرحون سعداء - ان يعلم ذوو الغيرة على هذا القرآن ، روعة الإعجاز ومواطن الإيجاز ، فيعتز بذلك الكتاب أيها إعزاز . وسنحاول ألا نقتصر على ما ذكره مما اشتهر ، كالذي جاء في سورة الرحمن وهو قوله سبحانه «فبأي آلاء ربكما تكذبان» ، وقوله «ويلٌ ليومئذ للمكذبين» في سورة المرسلات ، بل سنحاول أن نذكر ما يفتح الله به لنا ، ونحن نتتبع أي الذكر الحكيم ، لأننا كما قلت لن نقف موقف المدافعين ، لكننا ننبه العقول لمواطن الحجج ، لنقيها كل غفلة ولجج ، ونشوق النفوس ونحن نتنقل بها في روضات الجنات للآيات المحكمات :-

١ - فمن ذلك قوله تعالى «صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» (البقرة - ١٨) وقوله تعالى «صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» (البقرة - ١٧١) ذكرت الآية الأولى في سياق الحديث عن المنافقين بعد قوله سبحانه «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً» وذكرت الثانية في سياق الحديث عن الكافرين «ومَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِهَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاءً وَنِدَاءً» . ومن أجل ذلك ختمت الآية الأولى بقوله سبحانه «لا يعقلون» ، لأن كلا من الجملتين يتسق ويتناسب مع الآية التي ذكرت فيها وهكذا نجد أن كل واحدة ذكرت في سياق خاص ، وهذا أبعد ما يكون عن التكرار.

٢ - ومن ذلك ما جاء في قصة آدم في السورة نفسها «وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

وَلَكُرْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنٌ إِلَى حِينٍ، فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ^(١).

فرغم ما يوجد من اختلاف في اللفظ بين الآيتين، أعنى قوله «اهبطوا بعضكم لبعض عدو» وقوله «اهبطوا منها جميعا»، فإن الامر بالهبوط هنا ذكر مرتين، ولكن كل واحد منهما يختلف عن الآخر، فالأمر الأول ترتب عليه عداوة بعضهم لبعض، أي عداوة إبليس لآدم وبنيه. أما الأمر الثاني فلقد ترتب عليه شيء آخر وهو ما سيختبرون به ويبتلون، من أتباع هدى الله أو الإعراض عن هذا الهدى. لكل من الآيتين - إذن - هدف وغاية، وهذا ما يتنافى مع التكرار تنافيا تاما.

٣ - في سورة البقرة هذه الآية «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٢)» ذكرت هذه الآية مرتين بعد الحديث عن بناء الكعبة ودعاء إسماعيل وإبراهيم عليهما وعلى نبينا صلوات الله وسلامه، ووصية كل من إبراهيم ويعقوب لبنيه بالتوحيد والإسلام لله رب العالمين. وذكرت الثانية بعد ادعاء أهل الكتاب أنهم هم المهتدون، وطلبهم من المسلمين أن يكونوا مثلهم، وادعائهم أن إبراهيم وبنيه كانوا هودا أو نصارى، ومحاجتهم في ذلك.

الآية الأولى إذن كما يظهر لنا - والله أعلم بأسرار كتابه - ذكرت لارشاد المسلمين كي يواصلوا المسيرة، فاتحين القلوب والبلاد باسم الله، مادام الله قد شرفهم بأبوة إبراهيم وإسماعيل، وبهذا النبي العظيم دعوة إبراهيم عليه السلام: «رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ^(٣)» وجاءت الآية الثانية لتقيم الحجة على أهل الكتاب الذين هم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، بأن الله لن يسألهم عن إعراض آبائهم وتوليهم، وجحدهم لنعم الله، وتحريفهم لآياته إذا آمنوا بمثل ما أمتتم به أيها المؤمنون. وإن المتدبر لسياق الآيات يمكنه أن يلمح ذلك ويستنتجه، وهكذا نجد أن

(١) البقرة - ٣٦ - ٣٨

(٢) البقرة ١٣٤، ١٤١

(٣) البقرة - ١٢٩

كلتا الآيتين لها موضوعها الذي يقتضي وجودها . فلم تذكر الثانية تأكيداً للاولى ، كي تدخل في باب التكرار .

٤ - في شأن تحويل القبلة جاءت هذه العبارات القرآنية الكريمة « قَدْ تَرَى ثَقْلَبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلْتُوَلِّنْكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ^(١) » وبعد هذه الآية الكريمة يقول ربنا تبارك وتعالى « وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ الْلَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ^(٢) » هذه الآيات الكريمة حينها يقرؤها القارئ ، يجد أن الأمر بتولية الوجه شطر المسجد الحرام قد ذكر أكثر من مرة ، فيذهب الكثيرون إلى ذلك للتأكيد .

ولكننا حينها نؤمن النظر نجد أن الآيات الكريمة لم تذكر للتأكد فحسب ، وإنما كان لكل واحدة منها غرضها الذي تؤديه ، وغايتها التي تقصد إليها . فنحن نعلم خطورة قضية القبلة ، من حيث إنها جاءت تلبية لرغبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن حيث ما فيها من استقلال شخصية المسلمين حتى في عبادتهم ، ولقد كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة أول نسخ في الاسلام ، لذا وجدنا هذه العناية في شأن هذا التحويل ، ومع ذلك كان لكل آية مغزى خاص بها :

فالآية الاولى جاءت تبين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، أن هذه القبلة التي تمنيتموها - ورغبتهم فيها - وقد علم الله ذلك منكم - أجابكم الله لما طلبتم . وأما الآية الثانية فلقد كان الأمر فيها لبيان قضية اخرى ، وهى أن هذه القبلة التي أمركم الله أن تتحولوا إليها ، لن تُنسخ أبداً وهى القبلة الباقية ، وأما الآية الثالثة فجاءت تبين أن الهدف من هذا الامر بالتحويل الى هذه القبلة ، من أجل ان تقطعوا دابر كل قول فلا يبقى للناس عليكم حجة .

هكذا إذن نجد أن أمر التكرار لا يستقيم مع غاية الآيات الكريمة ، وإنما

(١) البقرة ١٤٤

(٢) البقرة - ١٥٠

اخترنا ذلك القول وعللنا كل أمر بما يناسبه أخذنا من الآيات نفسها، فالأمر الاول بالتولية شطر المسجد الحرام جاء عقب قوله تعالى «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها». وأما الامر الثاني فقد جاء بعده قوله سبحانه «وإنه للحق من ربك»، ومعنى هذه الجملة الكريمة أنه حق ثابت لن يُنسخ أبدا. أما الآية الثالثة فالأمر فيها ظاهر، فلقد ذكر عقبها «لئلا يكون للناس عليكم حجة».

٥ - في آيات الصيام ذكر قوله تعالى «أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ . فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»^(١).

فهاتان الجملتان من كتاب الله رغم ما بينهما من فرق باللفظ، حيث جاءت الأولى «فمن كان منكم مريضا أو على سفر» ، وجاءت الثانية «ومن كان مريضا أو على سفر» وذلك لغاية بيانية دالة بحق على سر من أسرار إعجاز هذا الكتاب الخالد. ومع أن بحثنا لا يتعلق بها، لكن لا بأس أن نذكرها ليستيقن المنصفون من غير المسلمين، وبخاصة من أهل الكتاب، أن القرآن بعيد عن الحشو والزيادة والإطناب، ونذكرها كذلك ليزداد الذين آمنوا إيماناً، ولكن بعد أن نأتي على المقصود من بحثنا وهي قضية التكرار.

فالجملة الاولى ذكرت بعد قوله تعالى «أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ» وذكر بعدها قول الله تعالى «وعلى الذين يطيقونه فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرٌ لَهُ وَإِن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ»، والراجح عند جمهرة العلماء وأئمة التفسير أن هذه الآية منسوخة بالآية التي بعدها، وهي قوله تعالى «شَهْرُ رَمَضَانَ» وإذا عرفنا هذا ندرك بعد القول بالتكرار. واليك أيها القاريء الكريم بيان ذلك : قوله سبحانه أياما معدودات

(١) البقرة - ١٨٤ ، ١٨٥

ذَكَرَ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ حُكْمٍ :

(١) القضاء للمريض والمسافر

(٢) التخيير بين الصيام والفدية

(٣) خيرية الصيام وتفضيله على الاطعام

وجاءت الآية الثانية تنسخ هذا الحكم ، فتوجب الصيام على كل من شهد الشهر، فلا يجوز له أن يطعم ويفطر. وإذا فَمِنَ البدهي أن يكون التساؤل : ترى هل هذا الحكم وحده هو الذي نسخ من الآية السابقة؟؟ أم أن حكم المريض والمسافر كذلك قد نسخ فلا يجوز لهما الإفطار مطلقا ؟ وإن جاز فما البديل الذي يفعلانه ؟ فجاءت الآية الكريمة لتجيب على هذه التساؤلات الضرورية، وهو أن حكم المريض والمسافر في حال وجوب الصيام لم يتغير ، ولو أن هذه الجملة الكريمة لم تُذكر لكان ذلك نقصا في البيان يحلُّ عنه القرآن ولكان موضعُ تساؤلات ، بل موضع خلاف فيما بعد. كل من الجملتين إذن ذُكرت لا للتأكيد ولكن لتقرر كلَّ حكمٍ خاصا. بقي أن نجيب على التساؤل المتعلق بذكر كلمة «منكم» في الجملة الاولى، وعدم ذكره في الثانية . فقد عرفنا أن الآية الاولى منسوخة، فالخطاب فيه للمؤمنين الذين نزل القرآن فيهم، أما الجملة الثانية فإن الخطاب يتناول أولئك الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإذا كان الأمر كذلك لا يجوز أن تُذكر كلمة (منكم) في الآية الثانية ، لأنها ليست للصحابة رضى الله عنهم وحدهم، وإنما للمؤمنين بعامة هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن كلمة (منكم) ذكرت قبل هذه الجملة في قوله تعالى «فمن شهد منكم» فلا داعي لتكرارها هنا، أما في الآية الاولى فلم يسبق لها ذكر.

٦ - في سورة آل عمران ذكرت هذه العبارة الكريمة «وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» مرتين متجاورتين :

أولا : في قوله سبحانه «لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ»

وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾^(١) .
 ثانيا : في قوله تعالى « يَوْمَ يُجَدُّ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ
 أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ »^(٢) .

والناظر في السياق القرآني ، يجد أن كلا من التحذيرين جاء عقب قضية خطيرة مهمة . جاء الاول بعد نهى المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء ، وهي قضية غُنيَ بها القرآن الكريم بعامه ، وعُنيَت بها سورة آل عمران بخاصة ، وما أصاب المسلمين اليوم من ضعف وخور وهزال ليس إلا بسبب هذه الموالاة ، وجاء الآخر في سياق مشهد من مشاهد يوم القيامة ، فالتحذير الأول يترتب عليه العذاب الدنيوي من تفرق وتمزق وذلة ومسكنة ، أما التحذير الثاني فيترتب عليه العذاب الأخروي « وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ »^(٣) .

٧ - في سورة النساء ذكرت هذه الآية الكريمة « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا »^(٤) . ثم ذكرت في السورة نفسها « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْسَانًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا . لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا »^(٥) . ويظن الذين لا معرفة لهم بالسياق القرآني ، أن الآية قد كررت ، ولكن الذي ينعم النظر يدرك ادراكا لا يتطرق اليه الربُّ أن لا تكرار ، بل أن من آية من الآيتين ، جاءت تتحدث عن أمر خاص بها .

فالآية الأولى جاءت في سياق الحديث عن أهل الكتاب ، يدلنا على ذلك ما ذكر قبلها وما جاء بعدها . ولنستمع لذلك « يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا

(١) آل عمران ٢٨

(٢) آل عمران ٣٠

(٣) الزمر ٢٦

(٤) النساء ٤٨

(٥) النساء (١١٦ - ١١٨)

نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَقْمَسَ وَجوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۚ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٥٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُرْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِلِلَّهِ يُرْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۚ أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ ۚ إِثْمًا مُبِينًا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجْعَلَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٧﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَلَكِ فَإِذَا لَا يَأْتُونَ النَّاسَ نَفِيرًا ﴿٥٨﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٩﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ ۚ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴿١﴾

ولاشك أحد في أن هذه الآيات الكريمة تتحدث عن أهل الكتاب واليهود بخاصة .

أما الآية الثانية ، فقد ذكرت بعد قولي تعالى « نَصِيبًا مَقْرُوضًا ﴿٥٥﴾ وَلَا ضَلَمَ لَهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْيُتِكُنْ ءَاذَانَ الْآتَعْمِ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْيُتِكُنْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا يَعْدُهُمْ وَيَمْنِيْنَهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا ﴿١﴾ » ومن البدهي أن هذه الآيات الكريمة تتحدث عن مشركي العرب .

الآية الاولى إذن تتحدث عن أهل الكتاب ، وبين القرآن الكريم أنهم مشركون ، وقد وجدنا من العلماء من يتحاشى أن يصفهم بالشرك ^(٣) . أما الآية الثانية فجاءت تتحدث عن الوثنيين من العرب ، ولذا خُتمت الآية الأولى بقوله « فقد افترى اثماً عظيماً » ، وختمت الآية الثانية بقوله « فقد ضل ضلالاً بعيداً » ذلك لأن أهل الكتاب افتروا اثماً حينما غيروا ما أكرمهم الله به من الشرائع ، ولا كذلك مشركو العرب ، وقد أشار العلماء من قبل الى هاتين الآيتين ^(٤) .

(١) النساء ، ٤٨ - ٥٥

(٢) النساء ، ١١٩ - ١٢١

(٣) انظر كتابنا اتجاهات في التفسير ومناهج المفسرين .

(٤) انظر : جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال بن ابى بكر السيوطي ، ولد في سنة (٨٤٩هـ) نشأ بتبها وحفظ القرآن صغيراً ، أخذ عن الشيخ محي الدين الكافيجي ، التفسير والاصول والعربية والمعاني ، رزق التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث والفقه والنحو ، والمعاني والبديع والبيان توفي سنة (٩١١هـ) الاتقان في علوم القرآن / تحقيق ابو الفضل ابراهيم : الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م ، ج ٣ ص ٣٥١ .

٨ - وفي السورة نفسها وعقب كل موضع من الموضعين اللذين ذكرناهما من قبل اعني ما يختص بأهل الكتاب وما يختص بمشركي العرب، ذكرت هذه الآية « وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَمَسَّ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَدُخِلَ لَهُمْ ظِلَالٌ ظَلِيلًا ^(١) ».

فقد ذكرت هذه الآية بعد الحديث عن أهل الكتاب، وبالتحديد بعد قوله تعالى فَتَنَّهُمْ مِنْ ءَامَنَ بِهِءٍ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا نَضْجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ^(٢) ».

أما الآية الثانية فقد ذكرت عقب قوله تعالى في النص السابق الذي تحدث عن مشركي العرب « أُولَئِكَ مَاوُنُهُمْ جَهَنَّمُ لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ^(٣) » وليس ثمة تكرار، لأن الآية الاولى جاءت تبين لأهل الكتاب إن هم آمنوا وعملوا الصالحات، إيماننا خالصا من كل شائبة، فإن لهم جنات. والآية الثانية جاءت تعد الوثنيين من العرب كذلك بهذه الجنات، إن حسن إيمانهم، ذلك لأن الإيمان يجب ما قبله سواء كان - أي الذي قبل الإيمان - افتراء أم ضلالا.

٩ - وفي سورة المائدة جاء قوله تعالى :

(١) « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ^(٤) »، (٢) « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ^(٥) »، (٣) « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ^(٦) ».

(١) النساء، ٥٧

(٢) النساء ٥٥ ، ٥٦

(٣) النساء (١٢١ ، ١٢٢)

(٤) المائدة - ٤٤

(٥) المائدة - ٤٥

(٦) المائدة - ٤٧

جاءت خاتمة لآيات متتابعة ، ولا يظن ظان أن هناك تكراراً في هذه الجمل الثلاث ، فالتكرار منتفٍ من جهتين اثنتين :

أما أولاً : فلأن كل جملة جاءت تتحدث عن غير ما تتحدث عنه الأخرى ، إذ تتحدث الأولى عن المسلمين ، والثانية عن اليهود ، والثالثة عن النصارى .

ثانياً : كل آية خُتمت بما لم تختتم به الأخرى كما رأينا .

٦ - هناك آيات ذكرت في تقرير سعة مُلك الله تعالى ، أو بيان صفاته وذلك كقوله «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» حيث ذكرت أكثر من مرة في كل من آل عمران^(١) والنساء^(٢) وكقوله «وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ» حيث ذكرت مرتين في سورة الأنعام^(٣) . وكل واحدة من الآيات الكريمة ، جاءت بعد وعيد خاص يتطلبه المقام ، ويقتضيه السياق .

١١ - في سورة المائدة ذكرت الجملة الكريمة «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا»^(٤) ثم ذكرت بعد ذلك عدة آيات وهي قوله سبحانه «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ»^(٥) فاذا عرفنا أن الآية الأولى جاءت تتحدث عن الذين صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام وهم أهل مكة ، وجاءت الثانية تأمر المسلمين بالعدل : «كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ويدخل فيها أول ما يدخل أهل الكتاب ، أدركنا أن كلا من الجملتين الكريمتين جاءت في شأن فئة من الناس ، وأدركنا كذلك أن احدهما لا تغنى عن الأخرى .

١٢ - وفي سورة الأنفال ذكر قوله تعالى بعد الحديث عن أحداث بدر ، عندما خرج المشركون بطراً ورتاء الناس ليصدوا عن سبيل الله ، وقد زين لهم الشيطان أعمالهم ، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، وحينما تراءت

(١) الآيات ١٠٩ ، ١٢٩ .

(٢) النساء الآيات ١٣١ ، ١٣٢ .

(٣) الانعام آية ١٨ وآية ٦١ .

(٤) المائدة - ٢ .

(٥) المائدة - ٨ .

الفتنان وتلاقى الجمعان ، ولَّى مدحورا ونكص على عقبيه ، وقال ما قال . أما المنافقون والذين في قلوبهم مرض فقالوا قولتهم الشنيعة «غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ» ، وهي قوله سُجِّلَتْ في القرآن الكريم أكثر من مرة كما سنذكر ذلك ان شاء الله ونذكر السبب في ذلك . . بعد ذلك كله يقول الله تبارك وتعالى « وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرَ أَمْرًا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَاهُ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ من هذا النص الكريم نجد أن قوله تعالى «كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ» ذكره مرتين ، أخبر عنهم بأنهم كفروا بآيات الله في الآية الاولى ، وكذبوا بآيات ربهم في الآية الثانية ، وعما نحن بصده من قضية التكرار ، نقرر مايلي :

ذكرت الآية الاولى عقب الحديث عن أهل مكة الذين خرجوا لبدْرِ بطرا ورثاء الناس ، يصدّون عن سبيله . وقد زَيْنَ لهم الشيطان اعمالهم ، وهم يشبهون من هذه الحيشية آل فرعون ، فلقد خرجوا بطرا ورثاء الناس كذلك ، للقضاء على موسى ومن آمن معه ، وزين لهم شيطانهم - فرعون - اعمالهم . وهذا ماحدثنا عنه القرآن الكريم فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ، وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ، وَإِنَّا بِجَمْعٍ حَنِدُونَ ^(١) » لقد كفرت قريش بآيات الله كما كفر فرعون وآله فأخذهم الله القوي الشديد العقاب .

أما الآية الثانية فقد ذكرت عقب سنة من سنن الله تبارك وتعالى في هذا الكون وهذه الحياة ، وهو أنه سبحانه اذا أنهم على قوم نعمة ما ، فانه لا يغيرها ، بل يضاعفها وينمّيها إن شكروا ، لكنهم إن جحدوها وغيّروا ما بأنفسهم واستحقوا العقاب ، لأنهم

(١) الأنفال (٥٠ - ٥٤)

(٢) الشعراء (٥٣ - ٥٦)

بدّلوا نعمة الله كُفْرًا، وقريش من هذه الحثيثة تشبه آل فرعون، فكما أنعم الله على فرعون بالجنات والعيون والأوتاد، فقد أنعم على قريش كذلك بالحرم الأمن، والناس يتخطفون من حوْلهم، وأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، ورزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا، ولكن كلا الفريقين غيّرُوا نعم الله، فذكرت هذه الآية مرة ثانية. بقي أن يقال إنه قد جرت عادة القرآن الكريم حينما يكون المقام مقام هيبة وإجلال وإخافة أن يُذكر لفظ الجلالة (الله) فإذا كان المقام مقام إنعام وتربية وتفضل، ذُكر اسم الرب، فإذا عرفنا هذا، وعرفنا أن الآية الأولى «كذّاب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله» ذُكرت عقب مصرع أهل بدر الذين أبوا إلا الجحود. وعرفنا أن الآية الثانية «كذّاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم» ذكرت بعد سنة من سنن الله تعالى في هذا الكون، وهي أنه لا يغيّر نعمه التي خص بها بعض الناس إلا إذا غيّرُوا ما بأنفسهم وكفروا بأنعم الله.

إذا عرفنا ذلك كله ندرك أن كلا من الآيتين الكريمتين جاءت تقرر حقيقة، وتحدث عن سنة من سنن الله، مما هو بعيد كل البعد عن شبهة التكرار، وشائبة التأكيد.

١٣ - وفي سورة الأنفال نفسها ذكرت هذه الآية * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ^(١). ثم ذكر قوله سبحانه : إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ^(٢). وبقينَا أن الأمر في هاتين الآيتين الكريمتين ظاهر لا يحتاج إلى بيان، لأن الآية الأولى جاءت في شأن الذين أعرضوا عن الحق، فأبوا أن يستمعوا له وينطقوا به. وجاءت الثانية حديثا عن الذين أبوا الإيمان ونقضوا العهد. فالآية الأولى تتحدث عن الكافرين قبل أن تكون هناك معاهدات بينهم وبين النبي عليه وآله الصلاة والسلام، وليست كذلك الآية الثانية، فهي تتحدث عن الذين ينقضون عهدهم في كل مرة وذلك ما يرشد إليه السياق، لذا جاء في الآية الأولى «الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ» وجاء في

(١) الأنفال - ٢٢

(٢) الأنفال - ٥٤ ، ٥٥

الآية الثانية «ان الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون» .

١٤ - في سورة الأنفال ذكر قوله تعالى إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوًى وَدِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ^(١) وفي سورة الأحزاب « وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ^(٢) »

ومع التغيرات التام بين الآيتين ، إلا أنه قد يشتبه على بعض الناس وجود التكرار من حيث المعنى . ولأولئك نقول : كانتا قولتين مختلفتين زمانا ، كانت الأولى يوم بدر ، وكانت الثانية يوم الأحزاب ، وقد ذكرهما القرآن لينبه المسلمين لما يقوله خصومهم أعداء الإسلام ، ونحن نجد اليوم من يردد هذه القضية هُزْأً أو مِرَاءً ، وبخاصة أولئك الذين "لاشت شحصيتهم وفقدوا ذاتيتهم" ، فزعموا أن فيصل الغلبة ليس إلا للقوة المادية فحسب ، وقد كذبوا وصدق الله ورسوله ، ومعاركنا التي خضناها مع عدونا خير دليل على ما قلناه ، إذ لم تغن الكثرة عدداً والقوة عدداً .

انتهيت من تسجيل هذه الأسطر وإذ بصوت الحق يرتفع «الله اكبر الله اكبر» ففرحت بذلك اذ هو تصديق للحق .

١٥ - وفي آخر سورة الأنفال ذكرت بعض الأحكام الخاصة بالمؤمنين في قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَهَاجَرُوا ثم ذكرت بعدها آيات تتحدث عن المؤمنين من حيث ما يتحلون به من صفات ، وما أعد لهم من جزاء وأجر ، وهو ما لا يحتاج إلى بيان اذ لا شبهة تكرار فيه لأحد .

١٦ - في سورة براءة نهى الله تبارك وتعالى أن يُعَجَبَ النبي أو المؤمنون بما لأعداء الله من أموال فقد ورد قول الله تعالى « فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ

(١) الأنفال - ٤٩

(٢) الأحزاب - ١٢

(٣) الأنفال - ٧٢

اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٦﴾» فقد ذكرت الآية الكريمة مرتين مع تباين في النظم .

أما الآية الأولى فجاءت بعد تقرير هذا الحكم ، وهو أن أولئك الأعداء المنافقين ان انفقوا طوعا او كرها ، فلن تقبل نفقاتهم ، لأنهم كفروا بالله ورسوله ، ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ، ولا ينفقون الا وهم كارهون ، وأما الآية الثانية فقد جاءت تثبيتا للنبي عليه وآله الصلاة والسلام وللمؤمنين بعد صدور هذا الحكم الرباني القاطع ، وهو حرمانهم من شرف الجهاد «فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعِذْكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ» إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعِذْكَ أُولَ الَّذِينَ أطَّلَ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿١٦﴾» .

فقد جاءت الآية الكريمة إذن تعقيبا على هذا الحكم ، كأنه يقول لهم لا يهولنكم هذا الحكم ، فان الذي أغناكم عنهم في خروجهم معكم للجهاد ، هو الذي يغنيكم عن أموالهم وأولادهم كذلك .

١٧ - تذكر بعض الحمل في سورة أوسور متفرقة ، كما نجد ذلك في سورة يونس الآية ١٠٠ «إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» ^(٢) وفي السورة نفسها الآية ١٠١ «وَلَقَدْ أُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ» ^(٤) وقول «لَقَدْ أُنْزِلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُمْكِنُ حَصْرُهُ وَمِثْلُ هَذَا ، لا يعد من التكرار ، لأن التشابه إنما جاء في جزء من الآية ، وأقول

(١) التوبة - ٥٥

(٢) التوبة ٨٣ - ٨٦

(٣) يونس - ٥٥

(٤) يونس - ٦٦

(٥) النور - ٣٤

(٦) النور - ٤٦

التشابه لا التماثل، لأن هناك تغييرا في الجزأين - كما رأينا - في الأمثلة السابقة، ومع ذلك فلكل معناه الخاص به، فإن كان هناك تماثل في بعض الأجزاء، فسنجد أن السياق مختلف وأن كلا من الجملتين المتماثلتين جاءت ليحمل عليها مالا يحمل على الأخرى.

نأخذ لذلك مثلا «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا» ذكرت في سورتين من عرائس القرآن «الحواميم» إحداهما في سورة «فصلت» وقد ذكر عقبها «نُنَزِّلُ عَلَيْهِمُ الْمُغْشَىٰ وَلَا يَحْزَنُونَ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ لَكُمْ أُزْلَافًا وَمِنْ قَبْلِكُمُ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا وَلَهُمْ أَزْوَاجُ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدِينَ» إلى آخر ما قاله الملائكة من قول طيب لأولئك. والثانية في سورة الأحقاف وذكر عقبها «فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الَّتِي فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» وقوله سبحانه «وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ» ونجد في آية ثالثة «حملته أمه وهنا على وهن» أو «حملته أمه رغرا ووضعته رغرا» كل ذلك بعيد بالطبع ان يتوهم متوهم بوجود التكرار فيه.

ومن هذا القبيل ما جاء في سورة المائدة «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأَمْرُهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا» وفي السورة نفسها لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِيَّ إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ» وما جاء في سورة الأعراف «ان ربكم الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل

(١) الايتان - ٣٠، ٣١

(٢) الاحقاف - ١٣، ١٤

(٣) العنكبوت - ٨

(٤) الاحقاف - ١٥

(٥) لقمان - ٤

(٦) الاحقاف - ١٥

(٧) المائدة - ١٧

(٨) المائدة - ٧٢

النهار يطلبه حثيثاً^(١)» وما جاء في سورة يونس «إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ^(٢)».

وما جاء في سورة الأنعام «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ^(٣)» وفي سورة النمل «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ^(٤)» وفي سورة العنكبوت «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ^(٥)»؛ ولاشك أن لكل الآيات الثلاث معنى لا يشاركها غيرها فيه،

فالآية الأولى التي جاء العطف فيها بـ (ثم) تطلب من الناس أن يسيروا من أجل أعمالهم وتجاراتهم وتعليمهم، وليكن مع هذه الأغراض النظر، ليعرفوا أحوال الأمم وطباع الأشياء. وأما الآيتان الثانية والثالثة فتطلبان أن يكون هذا السير من أجل النظر فحسب، إلا أن الغاية من هذا النظر مختلفة فهي التعرف على أحوال الماضين في الآية الثانية، والتعرف على آثار القدرة الإلهية في الأرض في الآية الثالثة.

وشبيه بهذا ما جاء في أكثر من سورة من قوله تعالى «أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا^(٦)» وفي آية «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا^(٧)» ذكرت هذه الآيات في آخر سورة يوسف وفي أوائل سورة الروم وفي أواخر سورة فاطر، وذكرت مرتين في سورة غافر في أولها وفي آخرها ومرة في سورة سيدنا (محمد) صلى الله عليه وسلم والسياق لكل آية ونظمها الخاص بها يتكفلان بها ترشد إليه كل آية.

ومن ذلك قوله تعالى «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ^(٨)» وفي آية «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ^(٩)» دون ذكر السماء، ومثل ذلك لا يمكننا أن

(١) الأعراف - ٥٤ .

(٢) يونس - ٣ .

(٣) الأنعام - ١١ .

(٤) النمل - ٦٩ .

(٥) العنكبوت - ٢٠ .

(٦) الروم ٩، وسورة فاطر ٤٤، وسورة غافر ٢١ .

(٧) سورة يوسف ١٠٩، وسورة الحج ٤٦، وسورة غافر ٨٢، وسورة محمد ١٠ .

(٨) العنكبوت - ٢٢ .

(٩) الشورى - ٣١ .

نستقصيه هنا لكن الذي نودّ أن نقرره ونحن مطمئنون كل الاطمئنان ، واثقون بما نقوله كل الثقة، من أن أي آية ذكرت أكثر من مرة في سورة، أو أكثر من ذلك، وأن أي جملة ذكرت في أكثر من آية في سورة أو أكثر ، لها رسالتها الخاصة بها، وغايتها المنشودة منها، وغرضها الذي تؤديه تنسيقا وإيقاعا، وروعة وإبداعا .

١٨ - في سورة الشعراء «أن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ»^(١) ذكرت ثماني مرات، وكانت كل مرة تذكر عقب قوم من الأقوام الذين كذبوا ، ابتداء من الذين ارسل اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم، فقوم موسى وإبراهيم عليهما السلام، وبعد ذكر نوح وهود، وصالح ، ولوط وشعيب عليهم السلام، فكان لها ما يحتملها في كل موضع .

١٩ - في سورة المرسلات وردت هذه الآية الكريمة «وَيَلَّيْمُ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ» في مواضع متعددة ، لكننا حينما نتأمل السورة الكريمة، والآيات التي جاءت عقبها هذه الآية، فإننا نقرر موقفين ونوقن مقررين، أن لا تكرار البتة،^(٢) اسم إلا اذا كانت أصابع يدي الانسان العشرة جاءت مكررة ! وإليك البيان أيها القاريء - علّمك الله وإيّاي - .

جاءت الآية الاولى «ويل يومئذ للمكذبين»، بعد ذكر مشهد من المشاهد التي ستحدث لهذا الكون إيدانا بمجيء يوم الفصل « فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ . وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ وَإِذَا الرَّسُلُ أَقْتَتْ يَوْمَ أُجِّلَتْ أَيُّومَ الْفَصْلِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ: وَيَلَّيْمُ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ»^(٣) وجاءت الثانية عتب التنبيه والاشارة لهذا التقرير التاريخي عن شؤون الأمم السابقة « أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ثُمَّ نَنْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ وَيَلَّيْمُ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ»^(٤) .

أما الآية الثالثة فقد ذكرت بعد هذا التقرير الرائع ، والإلتزام القاطع لهذا الإنسان بالحجة ، وهي تحدّثه عن خلقه ، بل عن المراحل الاولى من هذا الخلق ،

(١) الشعراء - ٨ ، ٩

(٢) المرسلات ٨ ، ١٥

(٣) المرسلات ١٦ - ١٩

وما حفه الله به من عناية ورعاية ماكان ليوجد لولاهما، سواء كان ذلك من حيث ما للأب أم للأم، من حيث الماء أم القرار « أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ^(١) » أما الآية الرابعة فقد ذكرت بعد أن من الله على هذا الانسان، فهياً له هذه الأرض لتكون صالحة للحياة، بأن هياً له ما لا بد منه لاستمرار هذه الحياة إلى أن يشاء الله، ذلك أن خلق الانسان لا يؤدي إلى النتائج المرجوة منه اذا لم تتوفر له العوامل التي تهيء له البقاء وصدق الله « أَلَدَيْ أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأُ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ^(٢) » ومن هنا نجد أن الله تبارك وتعالى لا يذكر نعمة الخلق إلا ويذكر ما معها لا يستمر الخلق بدونها، لذلك ذكرت هذه الآيات بعد آيات خلق الانسان التي قرأناها « أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ^(٣) »

وبعد هذه الإشارات التاريخية والنفسية والكونية، التي لا يسوغ لأحد أن ينكرها، اقول بعد هذه التوطئة الضرورية رجعت الآيات الكريمة تذكراً بالغاية، تنبه المكذبين إلى عاقبة أمرهم الوخيمة ما سيحقيق بهم، فتجيء الآية الخامسة بعد هذا المشهد المروّع، وبالطبع فهو يختلف كما سنرى عن المشهد الأول اختلافا تاما. ولنقرأ ولنستمع « أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شُعْبٍ. لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهِ إِذَا تَرَمَى بِسَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جُمُلٌ صَفَرٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ^(٤) »

أما الآية السادسة، فانها تأتي بعد بيان ما يلقاه أولئك المكذبون من حرج، وما يشعرون به من ضيق، حيث يُخْتَم على افواههم فلا يستطيعون النطق، ويُسَلَبون القدرة على الاعتذار عن قبيح ما فعلوه، وبخاصة عن هذا التكذيب الذي كذّبوه، وأما الآية السابعة فانها تذكر بعد الحديث عن يوم الفصل الذي جُمع فيه الخلائق،

(١) الآيات ١٩، ٢٤

(٢) السجدة - ٧

(٣) الرسائل ٢٥ - ٢٨

(٤) الرسائل ٢٩ - ٣٤

وبعد أن يمكنوا من النطق ويرخى لهم العنان ، ليوقنوا أن ما أصابهم انما هو بأيديهم ، « وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا » ، نقرأ ذلك كله فيما يلي « هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين^(٣) .

أما الآية الثامنة فقد ذكرت بعد ما أعد الله للمتقين ، ومن سنة القرآن أنه حينما يذكر فريقا يذكر الفريق الآخر، ترهيبا وترغيبا، ووعدا ووعدا، نقرأ ذلك في هذه الآية « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ وَقَوْكَهَ مِمَّا يَسْتَهْزِئُونَ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ^(٤) .. أما الآية التاسعة والعاشره ، فتأتیان تبكيًا للمجرمين بعد خطابهم كما خوطب المؤمنون ، وبعد توبيخهم على عدم الاستجابة لرسول الله والامتناع عن عبادة الله المنعم « كَلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ » صدق الله العظيم

تلك هى السورة الكريمة في نظمها المحكم وإحكامها المنظم ، أفتجد بعد ذلك أيها القاريء موطن تكرر ؟ افتشعر بعد هذا السرد بتكرار موطن السورة الكريمة ؟ ما أظن إلا أنك معي بأن لكل آية موطنها الذي يختلف جغرافيا وتاريخا عن موطن الآية الاخرى ، يا للروعة في الإبداع !! ويا للبيان يأخذ بالألباب . وصدق الله « وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا » وصدق الله كَتَبَ أَحْكَمَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ^(٥) وصدق الله « قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ^(٦) .

(١) الكهف - ٤٩

(٢) الرسائل ٣٥ - ٤٠

(٣) الرسائل ٤١ - ٤٥

(٤) الرسائل ٤٦ - ٥٠

(٥) طه - ١١٣

(٦) هود - ١

(٧) الزمر - ٢٨

٢٠ - جاء في سورة النبأ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ».

٢١ - وفي سورة التكاثر «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ نَكُنْ أَلْهَكُمُ الْبَيْتَ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ».

ويذهب الكثيرون إلى أن هذا تكرار للتأكيد^(١) والذي يلوح لي بعد وقفة مع الآيات الكريمة، أن الأمر ليس من قبيل التأكيد. وبالتالي فليس من قبيل التكرار، وأرجو أن لا يدور بخلدك أيها القارئ بانني أنكر أسلوب التأكيد، فلا تظنّ هذا الظن بي، فالتأكيد من الأساليب التي لا تنكرها العربية، بل قد تكون له مواضعه ومواقفه التي يزدان بها الكلام ويحكم بها المعنى. لكن الذي أزعجه هنا، أن مافي الآيات الكريمة ليس من قبيل التأكيد، واللغويون يقررون أنه إذا أمكن حمل الكلام على التأسيس، كان ذلك لاشك أولى من التأكيد، ونزعم أن الكلام هنا يمكن أن يحمل على التأسيس، بل نجد ذلك هو الأوفق بالسياق والألصق بالمعنى.

جاءت كل من الآيتين في السورتين الكريمتين في سورة النبأ والتكاثر معطوفة بـ (ثم)، و (ثم) كما نعلم للتراخي، وقد يكون هذا التراخي زمانياً أو رتّبياً، وإذا كان ذلك كذلك فليس مما يتقبله الفكر والنفس أن نعتبر جملتين عطفت أحدهما بحرف التراخي، ان نعتبرهما شيئاً واحداً، بل الظاهر أن هناك ردعا وتهديدا يفهم كل جملة على حدة، أحدهما أشد من الآخر. وهذا ما أشار اليه الزمخشري^(٢) عند تفسير سورة النبأ^(٣). ولكنه رحمه الله عند تفسير سورة التكاثر^(٤) ذكر أن ذلك من قبيل التأكيد، مع أن الردع الثاني أشد من الأول.

(١) النبأ ١ - ٥

(٢) التكاثر ١ - ٤

(٣) عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في منظوقه ومفهومه ، ص ٢٣٩ .

(٤) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري ، جابر الله أبو القاسم : (٤٦٧ - ٥٣٨هـ = ١٠٧٥ -

١١٤٤) من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب ولد في زنجش (من خوارزم) وسافر الى مكة فجاور بها زمنا

فسمي جابر الله وتنقل في البلاد ثم عاد الى الجرجانية وتوفي فيها من كتبه : الكشف ، أسرار البلاغة والمفصل -

الأعلام ج٧ ص ١٨٧ .

(٥) الكشف ج٤ ص ٦٨٤

(٦) الكشف ج٩ ص ٧٩٢

أما الألوسي^(١) رحمه الله فقد نقل في تفسير (روح المعاني)^(٢) هذا القول ولكنه نقل عن سيدنا علي - كرم الله وجهه - ما ينافي كونه للتأكيد ، وهو أن الردع الأول في القبور «كلاً سوف تعلمون» والثاني في النشور أي يوم القيامة . وما نظن الأمر يحتمل هذا الخلاف كله ، وما نظن هذا الخلاف كذلك إلا نتيجة لقواعد النحويين ، فابن مالك - رحمه الله - صاحب الألفية يرى أن الجملة الثانية للتأكيد على نية إسقاط حرف العطف ، ولا أدري كيف نجيز أن نسقط حرفاً أو نعتبره كذلك ، وقد ذكر في الكتاب الكريم ، ولو كان الأمر كذلك ، ولو كان هذا الحرف لا يؤدي معنى لما ذكره الله تبارك وتعالى وكان يمكن أن يحذف من الموضعين ، فيقال في الموضع الأول «كلا سيعلمون» والثاني «كلا سوف تعلمون» ويقال في الموضع الثاني «كلا سوف تعلمون كلا سوف تعلمون» . والذي اطمئن له أن لا تكرار ، وأن (ثم) يمكن أن تكون للتراخي الرتبي ، وهو ان الوعيد الثاني أقسى وأشد وأنكى من الأول ، ويمكن أن يكون للتراخي الزماني ، أي أن زمن الردعين مختلف ، وبخاصة اذا ثبت عن سيدنا علي ما نقل عنه الألوسي في تفسير آية التكاثر.

٢١ - ومن أقوى ما تمسك به القائلون بالتكرار سورة (الكافرون) ومن الخير المفيد ان نتدبر السورة حتى نستطيع أن نناقش من قال ونعى ما قيل «بسم الله الرحمن الرحيم قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ»^(٣) السورة الكريمة عدا البسملة ست آيات . إحداها خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فيه نداء للكافرين ، وهي «قل يا أيها الكافرون» وآخر آية حكم ونتيجة وهي «لكم دينكم ولي دين» ، وما بين هاتين الآيتين آيات أربع يمكن أن نقسمها من حيث المعنى الى مجموعتين ، المجموعة الاولى «لا أعبد ما تعبدون» و «ولا

(١) محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي شهاب الدين ابو التناد (١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ = ١٨٠٢ - ١٨٥٤) مفسر، محدث، اديب لغوي، نحوي مشارك في بعض العلوم تقلد الافتاء في بغداد وسافر الى الموصل فالقسطنطينية وأكرمه السلطان عبد الحميد وعاد الى بغداد بين تصانيفه ، روح المعاني، كشف الطرة عن الغرة في شرح درة الغواص للحريري، معجم المؤلفين ج١٢ ص ١٧٦ .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ادارة الطباعة المنيرية مصر ، ج ٣ ص ٢٢٤ .

(٣) الكافرون ١ - ٦

أنا عابد ما عبدتم»، فالآيتان الكريمتان تشيران الى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعبد ما يعبد الكافرون. والمجموعة الثانية «ولا أنتم عابدون ما أعبد» وهي الآية الثالثة عدا البسملة، «ولا أنتم عابدون ما عبد» وهي الآية الخامسة، وهما تنفيان عبادة المشركين لما يعبد الرسول عليه وآله الصلاة والسلام، والذين ذهبوا الى التكرار قالوا انه للتأكيد، وممن ذهب الى هذا القول ودافع عنه بقوة، واستدل له بأقوال العرب وبما جاء من أشعارهم «الفراء» ولكن الجمهور من العلماء ذهب الى غير هذا، ذهبوا الى عدم التكرار في السورة الكريمة، وهؤلاء اختلفوا فيما بينهم في تفسير الآيات تفسيراً يبعد القول بالتكرار.

فذهب أبو مسلم ابن بحر الاصفهاني^(١) الى أن «ما» في الآيتين الأوليين اسم موصول بمعنى (الذي)، وفي الآيتين الأخريين مصدرية، أي لا أعبد الذي تعبدون ولا أنتم عابدون الذي أعبد، ولا أنا عابدُ عبادتكم التي هي الشرك، ولا انتم عابدون عبادتي التي هي التوحيد، وذهب غيره مذاهب في تفسير هذه الآيات. ولا أود أن أقحمكم أيها القاريء الكريم في كل ما ذكره، فأدخلك في متاهات قد يصعب عليك الخروج منها، وتمييز بعضها عن بعض، ولكننا نود أن نسلك بك ان شاء الله تعالى مسلكاً لا وعورة فيه، غير حزن ولا متعرج. وجميل بنا أن نعرف السباق الذي جاءت الآيات الكريمة فيه، والسبب الذي نزلت من أجله، فقد ذكر ابن جرير رحمه الله وغيره أن المشركين ومنهم الوليد بن المغيرة طلبوا من النبي عليه وآله الصلاة والسلام أن يهادنهم، أن يعبد آلهتهم ويعبدوا إلهه، فأبى عليهم النبي عليه وآله الصلاة والسلام ذلك، ونزلت السورة الكريمة وعلى هذا فإن ما نرجحه في تفسير الآيات الكريمة ونستأنس به بقول الحذاق الجهابذة من العلماء، وهو عدم التكرار في السورة الكريمة مايلي - وبالله التوفيق - :

(١) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيّان الغرناطي الأندلسي الجبائي النفري. أثير الدين أبو حيان (٦٥٤هـ - ٧٤٥هـ = ١٢٥٦ - ١٣٤٤) من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة وانتقل الى ان اقام بالقاهرة وتوفى فيها بعد أن كُفَّ بصره. البحر المحيط : - مطبعة السعادة مصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ، ج ٨، ص ٥٢١.

قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم «يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون»، أي لا يمكن أن أعبد في مستقبل الأيام معبوداتكم الفاسدة، كيف وقد أكرمني الله بالنبوة وهداني الصراط المستقيم؟ وأنتم تعلمون أنه قبل أن يُكرمني الله بالوحي ما عبدتُ آلهتكم، فكيف ترجون مني أن أعبدها اليوم أو أعبدها فيما بعد؟ أما أنتم فلا يمكن أن تعبدوا الله الذي أعبدته - والسورة خطاب لقوم عَلمَ الله أنهم لا يؤمنون - وبخاصة بعد أن استحکم بيني وبينك العدا، فأنتم ما عبدتم الله الذي دعوتكم لعبادته يوم أن كنتم تعدوني فيما بينكم الصادق الأمين، وقبل أن يحدث بيني وبينكم ما يعكر الصفو.

والخلاصة أن كل آية من المجموعتين جاءت على صورة الدعوى، وجاءت الآية الثانية على صورة الدليل، فكأن كلاً من الآيتين دعوى ودليلاً. فالدعوى في المجموعة الأولى «لا أعبد ما تعبدون»، أي لا يمكن أن أجيبكم إلى ما طلبتم فأعبد آلهتكم، والدليل على هذه الدعوى «ولا أنا عابد ما عبدتم»، أي قبل أن يكرمني الله بالوحي ما عبدتُ آلهتكم، فهل يُعقل أن أعبدها الآن أو بعد الآن؟ وأما الدعوى في المجموعة الثانية فهي «ولا أنتم عابدون ما أعبد» أي لا يمكن أن تُصدّقوا فتعبدوا الله الذي أعبدته وقد حدث بيني وبينكم ما حدث، ودليل هذه الدعوى «ولا أنتم عابدون ما أعبد»، أي حينما دعوتكم لأول وهلة وأنتم لم تُجربوا على كذبا، وعلمتم أن لا مطمع لي في شيء فلم تجيبوني، فكيف تجيبوني اليوم؟ الآيات الأربع اذن اثنتان منها تشكّلان الدعوى، عدم استجابة كل من الفريقين للآخر، والآيتان الأخريان كل منهما برهان على الدعوى التي تلائمها. هذا الذي يبدو لنا في فهم السورة الكريمة، وراجين من الله أن نكون قد اهتدينا للصواب، وراجين من الله كذلك أن نكون قد بينا لك المقام ووضحناه أيما توضيح، والله يجزي سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم خير ما يجزي نبياً عن أمته وآل سيدنا محمد وصحبه.

٢٣ - ولنختتم هذا اللون بهذه الجملة القرآنية التي ذكرت في سورة النمل خمس آيات متواليات كان لها شخصيتها المستقلة في كل مرة، قال تعالى «قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَسَلِّمْ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَىٰ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ، أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ ۚ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ
تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۚ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ
خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوْبِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۚ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ
أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ
الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ
ثُمَّ يَعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ
(الآيات ٥٩ - ٦٥).

أرأيت إلى هذا التساؤل الملزم المفحج، كيف جاء مستقرا مستقلا في كل آية
من هذه الآيات الخمس وكانت كل آية تتحدث عن قضية من القضايا الرئيسية في
شؤون الكون والانسان ؟ . تحدثت الآية الاولى عن الخلق، خلق السموات والارض
وانزال الماء من السماء ، ليؤدي غرضه المرجو منه . وكانت الآية الثانية خاصة بهذه
الارض وتسويتها، وايداع ما فيها لحياة الانسان وتثبيتها، حتى لا تميد وتتصدع .
أما الآية الثالثة فكانت خاصة بالانسان وما ينتابه من حالات نفسية، وما
يعرض له من مشكلات وما يصيبه من ضرر، وما يتطلع اليه من آمال، وما يمكن أن
يعطل مسيرته من الام .

لكن الآية الرابعة كان حديثها عن الانسان ، ولكن من جوانب أخرى، انها
تمس الجوانب الفكرية والاجتماعية والاقتصادية التي لا بد منها ليتمكن الانسان من
المسيرة في هذه الحياة .

وأخيرا تأتي الآية الخامسة لتقرر مبدئين رئيسيين كليين يمكن أن يجمعاه شتات
ما تقدم كله، فيجيثان كالنتيجة لما سبق ، والغاية مما تقدم، يأتي هذا التساؤل إله
مع الله ؟ بعد كل نوع من هذه الأنواع، ذلك لأن الناس مختلفون في أهوائهم، لترد
على كل من اتخذ إلهه هواه ، وما أكثر الأهواء .

وإذا كان ذلك النسق عجيبا بديعا، فلا يقل عنه عجبا وابداعا أن تختتم كل آية

بالفاصلة التي تتسق معها ، تتفق مع مضمونها «بل هم قوم يعدلون» ، «بل أكثرهم لا يعلمون» ، «قليلا ما تتذكرون» «تعالى الله عما يشركون» ، «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» . وكل ما أريده منك أيها القاريء الكريم أن ترجع إلى الآيات الكريمة لتتدبرها تاليا ، ولتقرأها متديرا ، فلعلك تجد من الإبداع ومن ثروة المعنى أكثر مما ذكرته لك ، وسبحان الله الفتح العليم ، فالقرآن الكريم يُقبل عليك بقدر إقبالك عليه ، ويعطيك من أسرارهِ بقدر ما تعطيه من كيانه ووجدانه ، ويرتفع بك على قدر ما ترتفع به ، بل يمنحك أكثر من ذلك ، ان الله ليرفع بهذا الكتاب أقواما يرتفعوا به ، فيكون لهم قَدَمٌ صِدْقٍ ويتبوءوا مقعد صِدْقٍ :

نعم السَّمِيرُ كتابُ الله إن له حلاوةً هي أحلى من جَنَى الضَّرْبِ
به فنونُ المعاني قد جُمِعْنَ فما يُفْتَنَنَّ من عَجَبٍ إلا إلى عَجَبٍ
أمرٌ ونهيٌ وأمثالٌ وموعظةٌ وحكمةٌ أودَعَتْ في أفصحِ الكُتُبِ
لَطائفٌ يجتليها كلُّ ذي بَصَرٍ وروضةٌ يجتنيها كلُّ ذي أدبٍ

٢٢ - وقد أثرت أن أجعل مسك الختام في هذا المقام ، سورة (الرحمن) التي فرح بها القائلون بالتكرار ، لأنهم رأوا فيها ما تقوم لهم به الحجة ، حيث ذكر قوله تعالى «فبأي آلاءِ ربِّكما تكذِّبان» ما يربو على الثلاثين مرة ، ولعل هذا هو آخر سهم في جُعبتهم ، وآخر مرمى لكرتهم ، ولكننا مع ذلك ، وكعادتنا سوف لا نتعجل الحكم ، ففي التأني السلامة ، والأناة خصلة يجبُّها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ذكرت هذه الآية الكريمة إحدى وثلاثين مرة ولكنها إنما عقب آية من آيات الله في الأنفس ، أو في الآفاق ، في الدنيا أو في الآخرة ، وقد تكون نعمة يفرح بها المؤمنون ، وقد تكون عقوبة للكافرين ، وهي في حقيقتها نعمة للمؤمنين كذلك ، لأنها عقوبة نجاهم الله منها . والمستعرض للآيات الكريمة يجد أنها ذكرت مراتٍ بعد نِعَمِ الله على الإنسان في هذه الدنيا . يقول الخطيب الإسكافي - قوله تعالى «فبأي آلاءِ ربِّكما تكذِّبان» وتكريره إحدى وثلاثين مرة ، للسائل أن يسأل عن العدة التي جاءت عليها هذه الآية متكررة وعن فائدتها .

والجواب ان يقال : نبه الله تعالى على ما خلق من نعم الدنيا المختلفة في سبع منها ، وأفرد سبعا للترهيب والإنذار والتخويف بالنار ، وفصل بين السبع الاول والسبع الآخر بواحدة ثلاث آيات سوى فيها بين الناس كلهم فيما كتب الله من الفناء عليهم حيث يقول «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ» (الرحمن - ٢٦) أي مَنْ على الأرض ، وهذه الفاصلة للتسوية بين الملائكة وبين الانس والجن في الافتقار الى الله تعالى والى المسألة ؛ والاشفاق من خشية الله ، وهي قوله «يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» (الرحمن - ٢٩) وانما كانت الأول سبعا ، لأن أمهات النعم التي خلقها سبعا سبعا ، كالسموات والأرضين ، ومعظم الكواكب وكانت الثانية سبعا ، لأنها على قسمة ابواب جهنم لما كانت في ذكرها ، وبعد هذه السبع ثمانية في وصف الجنان وأهلها على قسمة أبوابها وثمانية اخرى بعدها للجنيتين اللتين دون الجنتين الأوليين ، لأنه قال تعالى في مفتتح الثمانية المتقدمة «وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ» (الرحمن - ٦٤) فمضت ثمانية في وصف الجنتين وأهلها ، وثمانية في وصف جنتين دونها للثمانية المتقدمة اليه ، فكان الجميع احدى وثلاثين مرة^(١).

ويقول القاضي عبد الجبار الاسد آبادي^(٢) :-

«قال أبو علي : فأما ما يكون في سورة الرحمن قوله تعالى «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» فليس بتكرار ، لأنه ذكر نعمًا بعد نعم ، وعقب كل نعمة من ذلك بهذا القول ، فكأنه قال فبأي آلاء ربكما التي ذكرتها تكذبان ؟ ، وانما عني بالثنية الجن والانس ، ثم أجرى الخطاب على هذا الحد ، في نعمة نعمة ، وعنى بكل قول غير ما عناه بالقول

(١) ابو عبد الله محمد المعروف بالخطيب الاسكافي ، عالم بالادب واللغة ، من أهل أصبهان ، كان إسكافيا وحب اليه العلم فأخذ عنه مشيخة وقته في بلده ، حتى برع في علمي اللغة والأدب (ت ١٠٤٦ هـ) من كتبه «مبادي اللغة» و «الغرة» و «غلط كتاب العين» . درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المشابهات برواية ابن أبي الفرج الأدرستاني : دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط ٢ ، ١٩٧٧ .

(٢) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الاسد آبادي ابو الحسين (ت ٤١٥ هـ - ١٠٢٥) قاض أصولي ، كان شيخ المعتزلة في عصره وهم يلقبونه قاضي القضاة بالري ، ومات فيها ، من مؤلفاته : تنزيه القرآن عن اللطاعن ، والأمال ، والمجموع في المحيط بالتعليق ، المغنى في أبواب التوحيد والعدل ، وإعجاز القرآن - قوم نصه أمين الخولي - الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي / الإدارة العامة للثقافة - ١٠ ط ، شعبان ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ : مطبعة دار الكتب ، ج ١٦ ، ص ٣٩٨ .

الأول، وإن كان اللفظ متماثلا ، وهذا كقول القائل، لمن ينهاه عن قتل المسلم وظلمه، ويزجره عن ذلك : أتقتل زيدا وأنت تعرف فضله ؟ اتقتل عمرا وأنت تعرف صلاحه ؟ ويكرر ذلك فيكون حسنا ولا يعد تكرارا، ولو أن أحدا عظمت نعمته على ولده، ورآه آخذا في طريق العقوق، لحسن أن يُقبل عليه فيقول : أتغضبني في كذا، وقد انعمتُ عليك ؟ أتغضبني في كذا وقد أنعمتُ عليك ؟!، فيكون تكرار ذلك أبلغ في المراد، حتى لو حذفه لنقص الغرض في هذا الباب ولم يكن بمنزلته».

وبعد، فإن مانرجوه بعد هذه المسيرة المباركة في الرياض القرآنية النضرة، وقد نفحنا من عطرها وشربنا من نعيمها، وقَبَسْنَا من نورها، أقول إن ما أرجوه - وقد حاولت معالجة قضية ذات شأن وخطر وهي قضية التكرار - ان أكون قد أَلْقَيْتُ الضوء - الذي يبصر به كل ذي لُبٍّ - على جوانب من هذه القضية، وإن لم أكن قد وفَّيت فحسبي أنني حاولت ما استطعت، وهو جُهد المَقِلّ، أرجو الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصا لوجهه والله يجزي سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عنا خير ما يجزي نبيا عن أمته وآل سيدنا محمد وصحبه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

المراجع

- ١ - الألوسي ، محمد بن عبدالله شهاب الدين / روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / إدارة الطباعة المنيرية - مصر .
- ٢ - أبو حيان ، محمد بن يوسف الاندلسي - البحر المحيط / مطبعة السعادة مصر الطبعة الاولى سنة ١٣٢٨ هـ .
- ٣ - الخطابي ، أبو سليمان - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (بيان اعجاز القرآن) تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر .
- ٤ - الخطيب ، عبد الكريم / القصص القرآن في منطوقه ومفهومه / دار الفكر العربي ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .
- ٥ - الخطيب الاسكافي ، ابو عبد الله محمد / درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات برواية ابن ابي الفرج الأردستاني / دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧ م .
- ٦ - الرفاعي ، مصطفى صادق - اعجاز القرآن والبلاغة النبوية / دار الكتاب العربي بيروت الطبعة التاسعة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ٧ - الزركشي ، الإمام بدر الدين بن عبدالله - البرهان في علوم القرآن - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم / دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الطبعة الاولى .
- ٨ - الزمخشري ، محمود بن عمر - الكشاف عن حقائق التأويل - مطبعة الاستقامة ، مصر ، الطبعة الاولى .
- ٩ - السباحي ، الشيخ محمد محمد - مذكرات في التفسير الموضوعي لطلبة الدراسات العليا .

- ١٠ - السيوطي ، الامام جلال الدين بن ابي بكر - الانقان في علوم القرآن - تحقيق
ابى الفضل ابراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة
١٩٧٥ م .
- ١١ - ابن قتيبة ، ابو محمد عبدالله بن مسلم - تأويل مشكل القرآن - بشرح وتحقيق
السيد أحمد صقر - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- ١٢ - قطب ، سيد قطب - في ظلال القرآن - الطبعة الخامسة ، ١٩٨٦ هـ -
١٩٦٧ م .
- ١٣ - قطب ، محمد قطب - دراسات قرآنية - دار الشروق ، بيروت .
- ١٤ - مجلة ، مجلة لواء الاسلام - العدد السابع السنة الرابعة / مقال للشيخ محمد
الخصر حسين (التكرار في القرآن)
- ١٥ - الهمذاني ، عبد الجبار الاسد آبادي : المغنى في أبواب التوحيد والعدل / قوم
نصّه أمين الخولي / الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة
والارشاد القومي - الادارة العامة للثقافة - الطبعة الأولى ،
١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م ، مطبعة دار الكتب .